الحَيَاة الفِطرِيَة

العدد 7 | فبراير - مارس 2026

بين الماء والتراب:
الأراضي التي تمنحنا الحياة

18
محمية الأمير محمد بن سلمان الملكية
حيث تتقاطع الطبيعة مع ذاكرة الإنسان

52
جمعية حماية الطيور..
ريادة مجتمعية تحلّق لحماية الأجنحة الطائرة

58
د. عبدالله القويز..
دعوة للتأمل في جمال المحميات وتنوّعها البيئي

أول ترخيص للغوص
مع أسماك القرش في محمية رأس حاطبة

الهدف:

- تجربة غوص مسؤولة مع أسماك القرش باستخدام الأقفاص في محمية رأس حاطبة وفق أعلى معايير السلامة

- مشاهدة الكائنات في بيئتها الطبيعية ضمن ضوابط تحافظ على سلوكها وموائلها

- رفع الوعي البيئي بأهمية النظم البيئية البحرية وتنوعها الأحيائي

الأثر البيئي:

إبراز الدور البيئي لأسماك القرش في استقرار النظم البحرية

تطوير سياحة بحرية مستدامة دون تأثير سلبي على الحياة البحرية

الإسهام في مستهدفات رؤية 2030 وتنمية الاقتصاد الأزرق

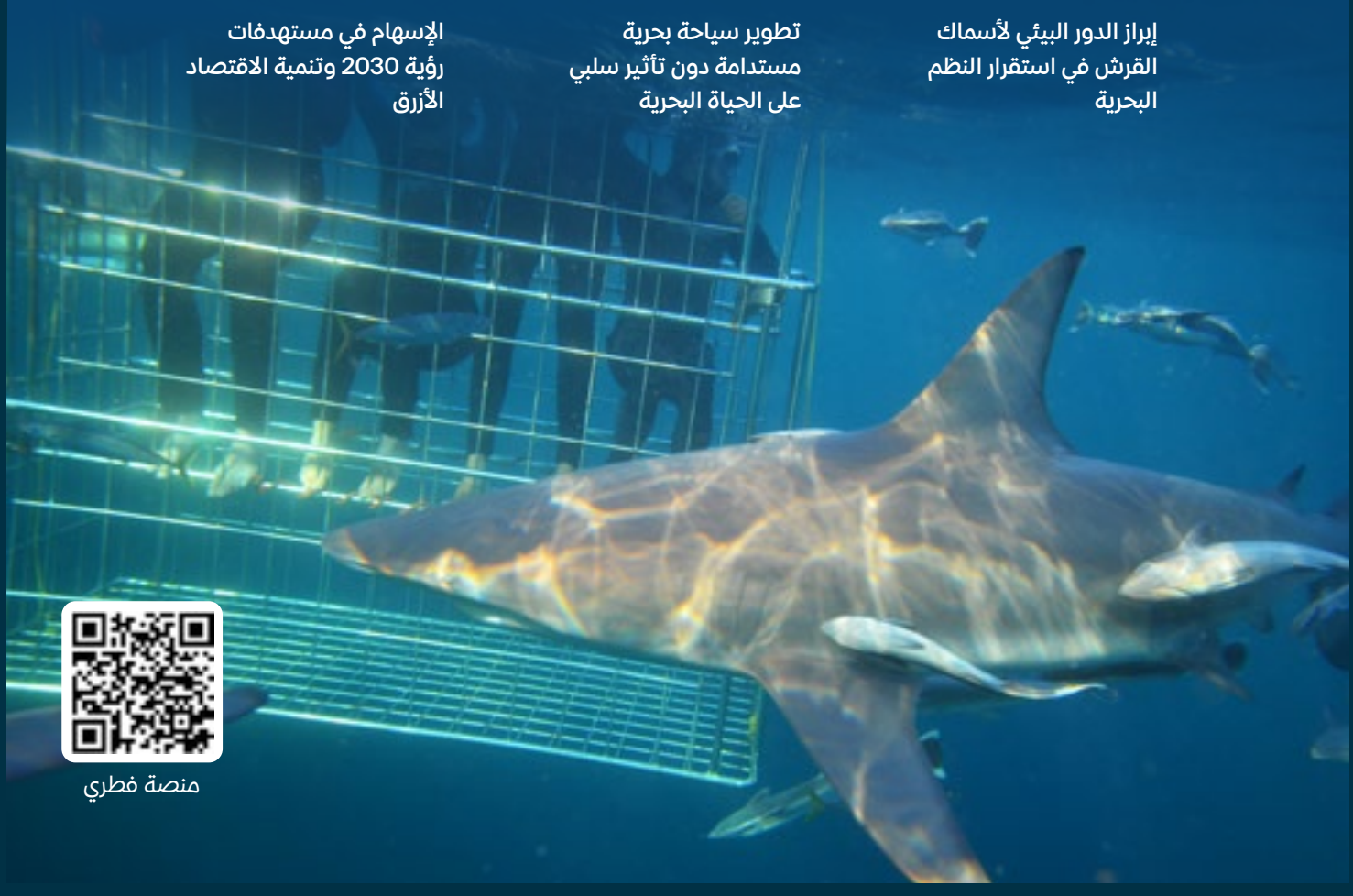

منصة فطري

﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ﴾

سورة الأنعام، آية: 38

الحَيَاة الفِطرِيَة

العدد 7 | فبراير - مارس 2026 م | شعبان - رمضان 1447 هـ

مجلة تصدر كل شهرين عن المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية
المملكة العربية السعودية

المشرف العام
الرئيس التنفيذي للمركز
الدكتور محمد علي قربان

رئيس التحرير
أحمد إبراهيم البوق

فريق التحرير

عبدالوهاب العريض
عصام الحاج

محمد اليامي
صالح بو خمسين
أحمد القحطاني

جعفر البحراني
سعد العريج

إنتاج
روناء للإعلام المتخصص

المركز الوطني
لتنمية الحياة الفطرية
National Center for Wildlife
المملكة العربية السعودية

الرياض حي الملك عبدالعزيز طريق مكة
المكرمة، ص. ب: 4508 الرمز البريدي: 12411
البريد الإلكتروني: care@ncw.gov.sa

المُحتوى

06
بين الماء والتراب:
الأراضي التي تمنحنا الحياة

18
محمية الأمير محمد بن سلمان الملكية
حيث تتقاطع الطبيعة
مع ذاكرة الإنسان

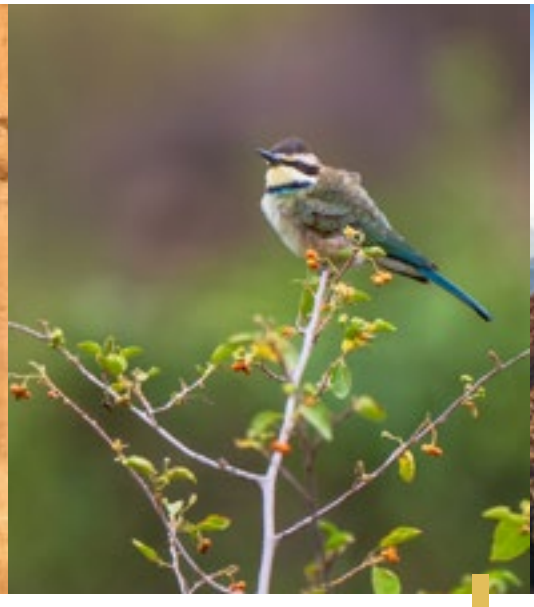

52
جمعية حماية الطيور..
ريادة مجتمعية تحلّق لحماية
الأجنحة الطائرة

58
د. عبدالله القويز..
دعوة للتأمل في جمال
المحميات وتنوّعها البيئي

شراكة مستدامة

موقعنا

منصة فطري

البلاغات

مبادرة الشرق الأوسط الأخضر.. رؤية إقليمية للتنمية الخضراء

المهندس
إبراهيم بن محمد التركي

الأمين العام لمبادرة الشرق الأوسط الأخضر

في ظل تصاعد التحديات البيئية عالميًا، جاءت "مبادرة الشرق الأوسط الأخضر" بوصفها إطارًا إقليميًا يعزز العمل الجماعي لمواجهة تدهور الأراضي وفقدان التنوع الأحيائي والتغير المناخي.

لم يعد تدهور الأراضي اليوم مجرد قضية بيئية، بل تمتد تأثيراته إلى النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي تمس حياة الشعوب واستقرار المجتمعات. وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن أكثر من 3.2 مليار إنسان يتأثرون بتدهور الأراضي، في انعكاس مباشر لارتباط البيئة بالاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وأن 1.3 مليار شخص يعتمدون على أراضٍ زراعية تعاني التدهور المستمر. كما تُظهر الدراسات أن 29% من الأراضي المتدهورة عالميًا سببها الأنشطة البشرية، وأن ما يقارب من 500 مليون هكتار من الأراضي المتدهورة تقع في المنطقة الجغرافية المحددة في "مبادرة الشرق الأوسط الأخضر"، والتي تغطي دول غرب ووسط وجنوب آسيا، وشمال إفريقيا، وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؛ أي التي تقع في قلب العالم والتي تعدُّ الأكثر تأثرًا بالتصحر وتدهور الأراضي والجفاف.

قيادة سعودية لعمل بيني متعدد الأطراف

أطلقت المملكة العربية السعودية "مبادرة الشرق الأوسط الأخضر" في القمة الأولى للمبادرة في أكتوبر 2021م، وقدمت لها كافة أنواع الدعم، وذلك لإيمانها بأن بيئة المنطقة والعالم واحدة، وأن الجميع شركاء في هذه البيئة، وأن هناك حاجة ماسة لتعزيز الجهود الإقليمية والدولية لحماية البيئة والحد من تدهور الأراضي ومكافحة التصحر والجفاف، لا سيَّما في هذه المنطقة من العالم. كما أن جهود المملكة في العمل البيئي الدولي تمتد لتشمل إطلاق ودعم العديد من المبادرات البيئية الإقليمية والدولية، مثل: مبادرة مجموعة العشرين العالمية للأراضي، ومبادرة شراكة الرياض العالمية من أجل الصمود في مواجهة الجفاف، والمبادرة الدولية للإنذار المبكر من العواصف الغبارية والرملية.

الإطار الاستراتيجي لـ"مبادرة الشرق الأوسط الأخضر"

تستند "مبادرة الشرق الأوسط الأخضر" إلى ركائز العمل البيئي الدولي، وفي مقدمتها اتفاقيات ريو الثلاث (اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر

UNCCD، واتفاقية التنوع البيولوجي CBD، واتفاقية تغير المناخ UNFCCC)، وترتبط بأهداف التنمية المستدامة، وخاصة الهدف (13) "العمل المناخي" والهدف (15) "الحياة في البر". كما أن المبادرة تستند إلى نظام حوكمة تحت إطار تنظيمي إقليمي يضم مجلسًا وزاريًا ولجنة تنفيذية وأمانة عامة ولجانًا علمية وتوجيهية. إن هذا النموذج من الحوكمة، المستند إلى الشفافية والتعاون العلمي والتمويل الأخضر، يمثّل تحولًا حقيقيًا في إدارة العمل البيئي على مستوى الإقليم. وتحتكم المبادرة في عملها إلى ميثاق معتمد من الدول الأعضاء، يتضمن رؤية مستقبلية وأهدافًا مشتركة، وآليات عمل للمتابعة والتقييم والتمويل المشترك، إضافة إلى آليات عمل لبناء قدرات الدول الأعضاء ونقل الخبرات والمعرفة والتجارب الناجحة والتقنيات والابتكارات الحديثة بين الدول.

تتطلع المبادرة بحلول عام 2030م إلى أن تصبح المنصة الإقليمية الأولى لإعادة تأهيل الأراضي المتدهورة في المنطقة لتعزيز مشاريع التمويل الأخضر وسندات الكربون، وتطوير قاعدة بيانات إقليمية للموارد الطبيعية وبناء القدرات ونقل المعرفة، وإصدار تقرير إقليمي سنوي عن حالة الأراضي في المنطقة.

أثر بيني ملموس لحماية وتنمية التنوع الأحيائي والمساهمة في جهود المناخ العالمي

تعتمد أهداف المبادرة على معطيات دقيقة وأرقام طموحة، فهي موجهة لزراعة 50 مليار شجرة في دول الإقليم بما يعادل استعادة 200 مليون هكتار من الأراضي المتدهورة، وذلك بالاعتماد على الحلول القائمة على الطبيعة Nature-based) Solutions) لتنمية الغطاء النباتي ومكافحة التصحر، وهو ما سيسهم في خفض الانبعاثات وتعزيز قدرة الأراضي على امتصاص الكربون، وحماية وتنمية التنوع الأحيائي وتحسين جودة الحياة لسكان هذه المنطقة.

قوة دافعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية

إن الحفاظ على الطبيعة ليس عملًا بيئيًا فقط، بل هو إسهام في تحقيق منجزات اقتصادية واجتماعية للمجتمعات؛ إذ ستتيح المشاريع البيئية آلاف فرص العمل الخضراء في الزراعة البيئية، وإعادة التشجير، وإدارة الأراضي. إضافة إلى دورها في دعم الابتكار في مجالات الزراعة الذكية والاقتصاد الحيوي والتمويل الأخضر، وتعزيز الأمن المائي والغذائي في منطقة تعاني أحد أعلى معدلات الإجهاد المائي في العالم. وتُقدَّر تكلفة فقدان خدمات النظم البيئية عالميًا بحوالي 6 تريليونات دولار سنويًا؛ أي ما يعادل 5% من الناتج الإجمالي العالمي، وهذا وحدَه يوضح أن الخسارة البيئية هي خسارة اقتصادية مباشرة. كما أن كل دولار يُستثمر في استعادة الأراضي المتدهورة يدرُّ عوائد تُقدّر بحوالي 30 دولارًا من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية والصحية عبر تحسين الإنتاج الزراعي وإعادة إحياء التربة وحماية التنوع الأحيائي، إضافة إلى تعزيز الأمن الغذائي. كما أن استعادة الأراضي المتدهورة تُعدُّ من أسرع وأقل الحلول تكلفة لتقليل الانبعاثات البيئية ودعم تخزين الكربون.

بين الماء والتراب:
الأراضي التي تمنحنا الحياة

جعفر البحراني

- جزر فرسان أول المواقع السعودية على قائمة "رامسار"

- أكثر من ثُلث الأراضي الرطبة الطبيعية في العالم اختفت منذ السبعينيات

بحيرات أم الحيش جنوب شرق الربع الخالي

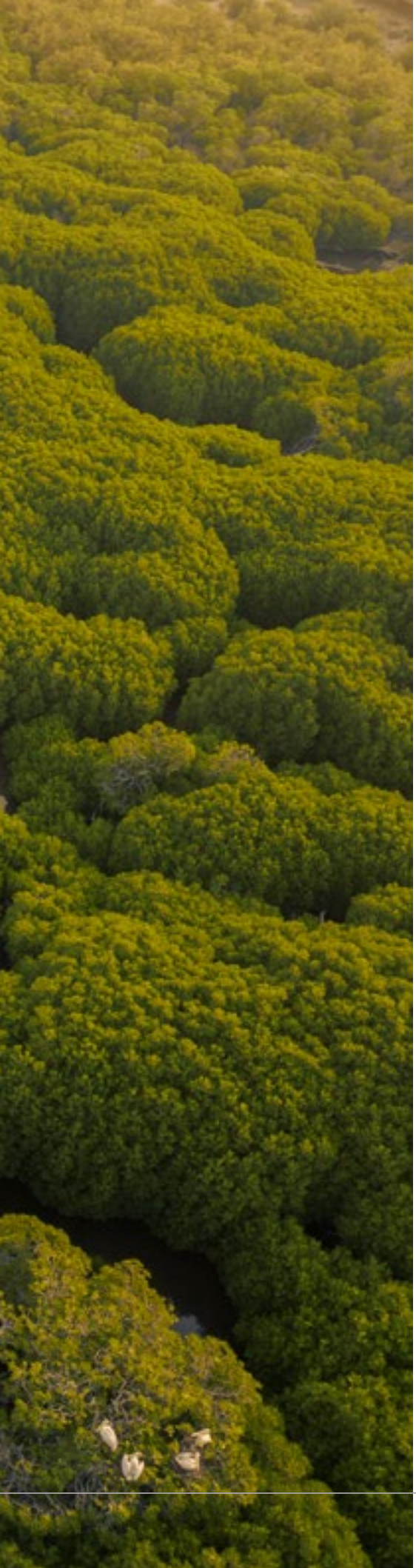

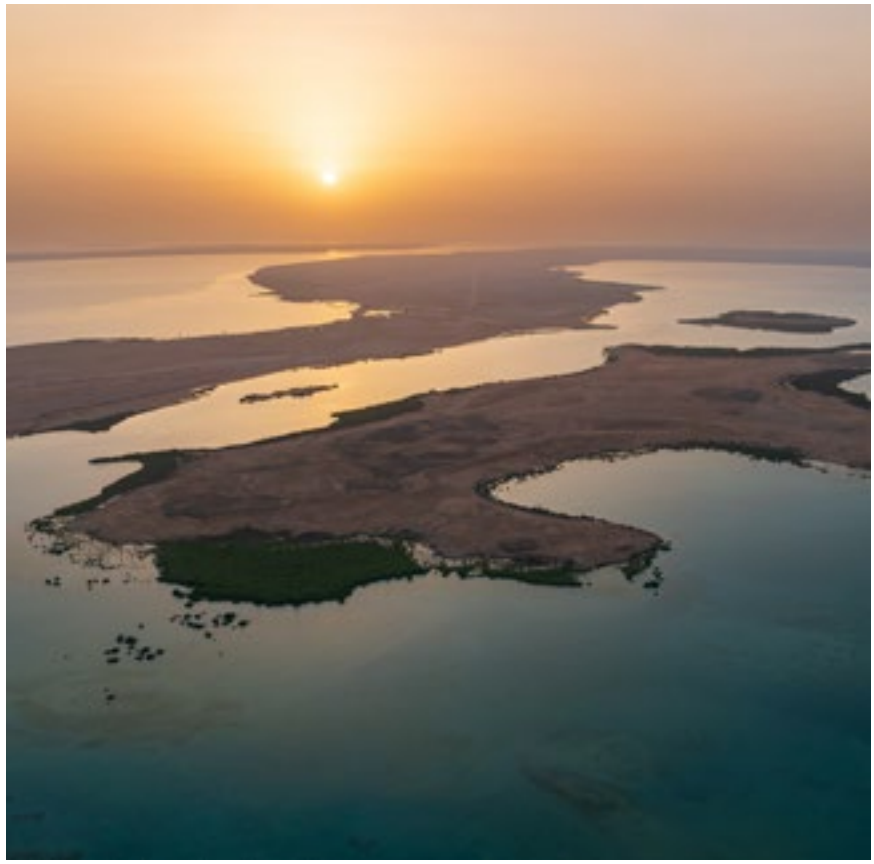

تبدو الأراضي الرطبة للوهلة الأولى مساحات ساكنة على هامش اليابسة والماء، غير أن ما يجري في أعماقها يحكي قصة توازن دقيق لمكونات التنوُّع الأحيائي وهذه البيئات. ففي هذه البيئات، حيث يلتقي الماء بالتربة والنبات، تنبض أنظمة بيئية معقّدة تؤدي أدوارًا تتجاوز حدود المكان، فهي خطوط دفاع طبيعية، وموارد حياة، وذاكرة بيئية تختزن تاريخ الأرض ومستقبلها. إن فهم قيمتها ليس ترفًا معرفيًا، بل خطوة أساسية لصون توازن الكوكب وإنقاذه من الأزمات وضمان استدامة موارده للأجيال القادمة. وفي هذا السياق، تبرز المملكة العربية السعودية بوصفها نموذجًا لافتًا في إعادة اكتشاف قيمة الأراضي الرطبة داخل بيئة يغلب عليها الطابع الجاف. وقد ترافق هذا الإدراك مع جهود مؤسسية متنامية لحصر الأراضي الرطبة ودراسة وظائفها البيئية وحمايتها.

في لحظة ما، قد تبدو الأرض قاحلة لا حياة فيها، لكن ما إن تهطل الأمطار أو يرتفع مستوى المياه، حتى يتحول المشهد بالكامل. تنبثق الحياة من جديد؛ نباتات تظهر فجأة، وحشرات تعود إلى الحركة، وطيور تقطع آلاف الكيلومترات لتجد في هذه البقع المائية محطة راحة أو موطنًا مؤقتًا. وكأن هذه الأراضي تحتفظ بذاكرة بيئية تستدعي الحياة كلما توفرت لها شروطها الأساسية. هذه القدرة على التحوُّل السريع ليست مصادفة، بل نتاج توازن دقيق بين الماء والتربة والكائنات الحية، تَشَكَّل عبر آلاف السنين (Ramsar convention 2016).

في هذه المناطق الانتقالية تحديدًا تنشأ أعلى درجات التنوع الأحيائي وأكثر الشبكات البيئية تعقيدًا. فحيثما يلتقي الماء بالأرض، تتكاثر أشكال الحياة، وتتداخل سلاسل الغذاء، وتتجدد الموارد الطبيعية بوتيرة يصعب تعويضها في أي نظام بيئي آخر (CBD 2010).

غابات القندل في محمية جزر فرسان

ما هي الأراضي الرطبة؟

تُعرَّف الأراضي الرطبة بأنها أنظمة بيئية يشكّل الماء فيها العنصر الأساس المنظِّم لخصائصها الطبيعية ولأنماط الحياة النباتية والحيوانية المرتبطة بها، سواء كانت مياهها عذبة أو مالحة، طبيعية أو من صنع الإنسان، دائمة أو موسمية. وتشمل هذه الأنظمة، البيئات البحرية والساحلية، مثل: البحيرات والأنهار، والمياه الجوفية والمستنقعات، والأراضي العشبية الرطبة والواحات، ومصاب الأنهار والدلتا، ومسطحات المد والجزر، التي لا يتجاوز عمق المياه فيها ستة أمتار خلال الجزر، إضافةً إلى غابات المانغروف والشعاب المرجانية، وبعض البيئات التي أنشأها الإنسان، مثل: برك معالجة الصرف الصحي، وأحواض الأسماك، وحقول الأرز، وأحواض الملح.

الأراضي الرطبة تؤدي وظائف بيئية أساسية جعلت العلماء يُطلقون عليها وصف كُلى الطبيعة.

أنماط الأراضي الرطبة وتنوُّعها

تتنوع الأراضي الرطبة في أشكالها وخصائصها تبعًا لمصدر المياه وطبيعة البيئة المحيطة، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنماط رئيسة:

النمط الأول هو الأراضي الرطبة الداخلية، وتشمل المستنقعات، والأودية، والجداول، والغدران، والعيون المائية العادية والحارة، والسهول الفيضية، والشلالات الجبلية، إضافةً إلى الأراضي الرطبة الصحراوية، والأراضي الرطبة الكارستية المرتبطة بتكوينات الحجر الجيري والمياه الجوفية.

النمط الثاني هو الأراضي الرطبة الساحلية، التي تضم مستنقعات المياه المالحة، ومصبات الأودية والأنهار، وغابات المانغروف التي تؤدي دورًا محوريًا في حماية السواحل ودعم الحياة البحرية.

أمَّا النمط الثالث، فيتمثّل في الأراضي الرطبة التي أنشأها الإنسان، مثل: السدود والبحيرات الاصطناعية ومزارع الأسماك، التي باتت تشكّل بدورها موائل بيئية مهمة تسهم في دعم التنوُّع الأحيائي وتوفير موارد مائية وغذائية.

أهميتها

وللأراضي الرطبة أهمية تتجاوز احتضان الكائنات الحية. فهي تؤدي وظائف بيئية أساسية جعلت العلماء يُطلقون عليها وصف "كُلى الطبيعة". إذ تعمل على تنقية المياه من الملوثات، وتنظيم تدفقها، وتخفيف آثار الفيضانات، وتخزين كميات هائلة من الكربون في تربتها ونباتاتها، وهو ما يضعها في صميم الجهود العالمية لمواجهة تغيُّر المناخ. ومع ذلك، ظلّ كثير من هذه الوظائف غير مرئي للعين؛ لأن نتائجها لا تظهر فورًا، بل تتراكم بهدوء عبر الزمن.

وإلى جانب ذلك، تعدُّ مصدرًا مهمًا لإنتاج الطاقة وداعمًا للإنتاج الزراعي، وعنصرًا أساسيًا في تنظيم المناخ، فضلًا عن قيمتها الكبرى للماء والغذاء والدواء، ودورها بوصفها محطات مهمة لهجرة الطيور المائية بين قارات العالم، وقيمة سياحية واقتصادية متنامية.

بدايات الوعي الدولي بأهمية الأراضي الرطبة

حتى منتصف القرن العشرين، كان يُنظر إلى الأراضي الرطبة في معظم دول العالم نظرة نفعية ضيقة؛ إذ عُدّت في كثير من الأحيان أراضي هامشية قابلة للتجفيف والاستصلاح الزراعي أو العمراني. غير أن هذا التصوُّر بدأ في التغيُّر مع تصاعد الاهتمام العلمي بالتنوُّع الأحيائي وهجرة الطيور المائية، ولا سيما في أوروبا وأمريكا الشمالية. وقد أدى علماء الطيور دورًا محوريًا في هذا التحوُّل، بعدما لاحظوا التراجع الحاد في أعداد الطيور المهاجرة نتيجة فقدان موائلها الطبيعية،

خاصة الأراضي الرطبة الساحلية والداخلية. ومع ستينيات القرن الماضي، بات واضحًا أن هذه البيئات تؤدي وظائف بيئية لا يمكن تعويضها، تتجاوز كونها مجرد مصادر للمياه أو الأراضي القابلة للاستغلال وفقًا لتقرير البنك الدولي عام 2020 حول الحلول القائمة على الطبيعة للتكيف مع التغيُّرات المناخية.

اتفاقية رامسار: نقطة التحوُّل المؤسسية

شكّل عام 1971 محطة مفصلية في تاريخ حماية الأراضي الرطبة، مع اعتماد اتفاقية رامسار. ودخلت الاتفاقية حيّز التنفيذ رسميًا عام 1975، لتصبح أول معاهدة دولية مكرّسة بالكامل لنظام بيئي واحد. وهدفت الاتفاقية إلى وضع إطار عالمي للحفاظ على الأراضي الرطبة وضمان "الاستخدام الرشيد" لمواردها، مع التركيز على المواقع ذات الأهمية الدولية، خصوصًا أنها موائل للطيور المائية. ومنذ ذلك الحين، توسّع نطاق الاهتمام ليشمل الوظائف الهيدرولوجية، ودورها في تنقية المياه، وتخزين الكربون، ومواجهة تغيُّر المناخ. وبحلول العقدين الأخيرين،

"الحياة البحرية في ضفة فرسان تُعيد تعريف مفهوم "المنطقة الميتة"، إذ تحيا في ظروف كان يُظن أنها مستحيلة.

باتت الأراضي الرطبة عنصرًا أساسيًا في السياسات البيئية العالمية، ومرتبطة مباشرة بأهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة، ولا سيما تلك المتعلقة بالمياه والمناخ والتنوُّع الأحيائي. وقد انضمت إلى الاتفاقية حتى اليوم 172 دولة، ما يعكس تحوُّل الأراضي الرطبة من قضية بيئية متخصصة إلى أولوية دولية عابرة للحدود.

الأراضي الرطبة في المملكة

أدرك القائمون على حماية الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية مبكرًا الأهمية البيئية البالغة للأراضي الرطبة، بوصفها نظمًا طبيعية حساسة تؤدي أدوارًا محورية في حفظ التنوُّع الأحيائي وتنظيم الموارد المائية. وأدركوا أيضًا ضرورة تركيز الاهتمام على حمايتها، وقاموا بمجموعة من التدابير، من بينها إجراء مسوحات عن أماكنها وبيئاتها المختلفة، وإحصاء التنوُّع والأنماط الأحيائية الموجودة فيها. وقد كشفت هذه المسوحات عن تنوُّع مدهش لأنماط مختلفة من الأراضي الرطبة، يُظهر التضاريس والمناخات المائية، واختلاف الأحياء الطبيعية في هذه البيئات، سواء كانت موسمية أو دائمة.

ويعكس انضمام المملكة ممثّلةً في المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية كنقطة اتصال وطنية، للاتفاقية الدولية للأراضي الرطبة "رامسار"، التزامها بصون ثرواتها البيئية وموائلها الفطرية، وما تحتويه من تنوُّع أحيائي ثري ومتنوع، وتعزيز الاستدامة البيئية.

يُعدُّ هذا الانضمام دعمًا قويًا للجهود الدولية في الحفاظ على النظم البيئية البرية والساحلية، في ظل تصاعد التحديات المرتبطة بقضايا المياه والمناخ والتنوُّع الأحيائي.

كيف تنظّف الأراضي الرطبة الماء؟

تمتص الأراضي الرطبة مياه الفيضانات، وتحتجز الملوثات والرواسب، وتفكك المركبات الكيميائية الضارة عبر التربة والنباتات، ما يحسّن جودة المياه السطحية والجوفية

المصادر: اتفاقية رامسار، والتقييم العالمي للأراضي الرطبة، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة والهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيُّر المناخ.

التهديدات الرئيسة التي تهدد الأراضي الرطبة

تختفي الأراضي الرطبة بمعدل أسرع ثلاث مرات من اختفاء الغابات. وقد أفاد تقرير (Global Wetland Outlook) بأن أكثر من ثُلث الأراضي الرطبة الطبيعية في العالم (نحو 35%)، قد اختفت منذ عام 1970. وبالرغم من أنها تمتاز بتنوُّع أحيائي كبير، فإن أنظمتها حساسة للغاية وسريعة التدهور. فقد أدت مجموعة من الضغوط البشرية والبيئية إلى تقلُّص مساحات واسعة منها أو فقدانها كليًا، وفي مقدمة هذه الضغوط: التنمية غير المستدامة، والتلوث، وتغيُّر المناخ، إلى جانب عوامل أخرى مثل الأنواع الغازية.

التنمية غير المستدامة

شكّلت الأراضي الرطبة عبر التاريخ، ولا سيما السهول الفيضية، مناطق طبيعية لامتصاص المياه الزائدة، وتنظيم تدفقها وإعادة توزيعها. غير أن التوسُّع العمراني والصناعي والزراعي غير المنضبط، أدى إلى تجفيف هذه البيئات أو تجزئتها، ما أفقدها قدرتها على أداء وظائفها الطبيعية، وأسفر عن تدمير موائل الكائنات الحية، والقضاء على الأراضي الرطبة.

التلوث

تؤدي أنظمة الأراضي الرطبة دورًا مهمًا في تنقية المياه عبر احتجاز الملوثات وترسيبها أو تفكيكها بواسطة ميكروباتها، إلا أن قدرتها على المعالجة محدودة. فالتلوث الناتج عن المصانع والأسمدة والمبيدات الحشرية، وتسرُّب المواد الكيميائية المختلفة، وانتشار النفايات البلاستيكية، يشكّل تهديدًا مباشرًا وخطيرًا للأراضي الرطبة.

تغيُّر المناخ

على الرغم من إسهام الأراضي الرطبة في تخفيف آثار تغيُّر المناخ من خلال تخزين الكربون، فإنها في الوقت نفسه شديدة التأثر بالتغيُّرات المناخية؛ إذ يؤثر ارتفاع درجات الحرارة وتغيُّر أنماط هطول الأمطار ومستويات المياه، في استمرارية هذه النظم البيئية وقدرتها على البقاء، ما يجعل تغيُّر المناخ أحد أخطر التحديات التي تواجه مستقبل الأراضي الرطبة واستمراريتها وديمومتها.

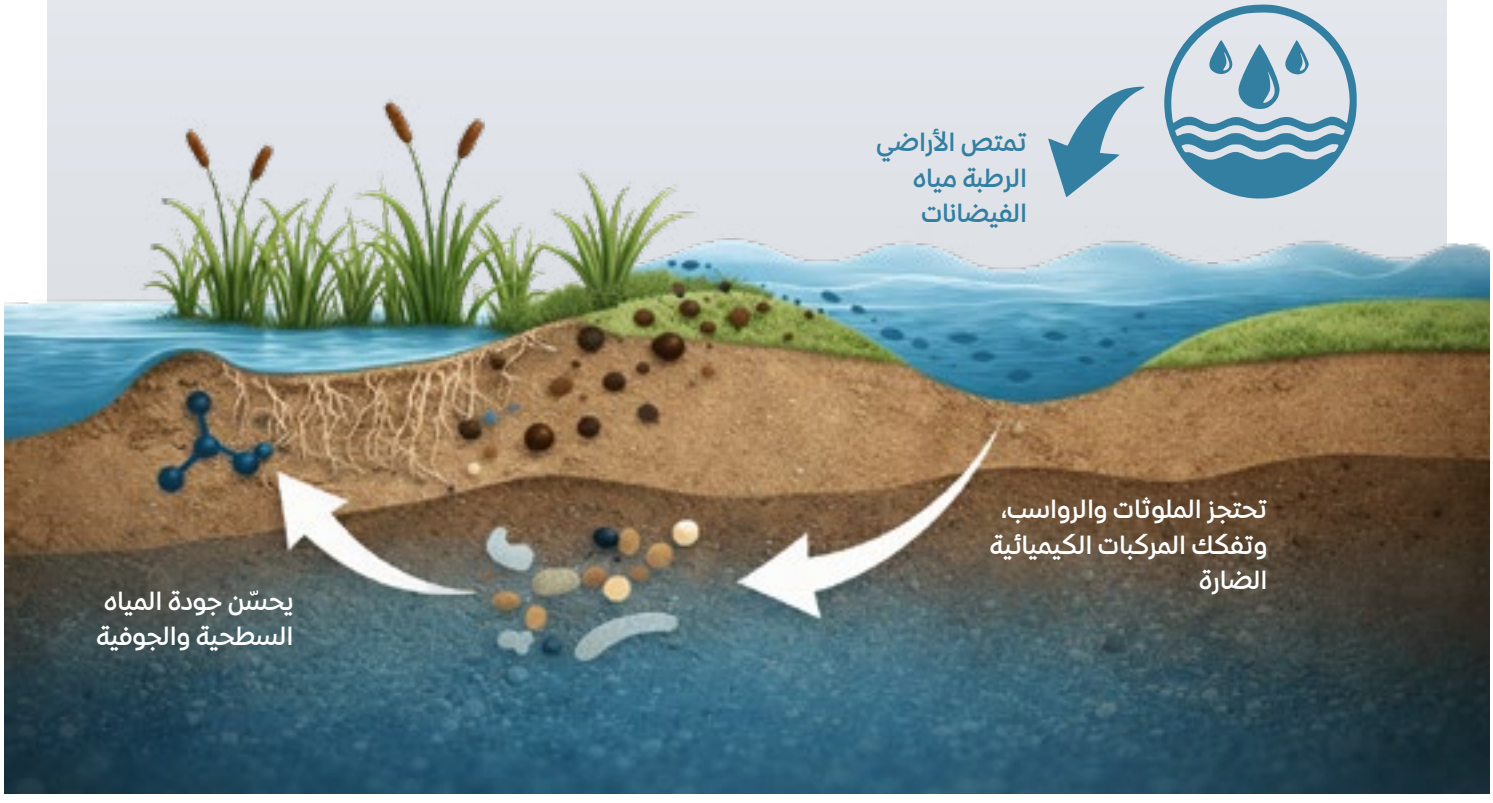

ويقود المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية خطةً تطويرية شاملة ومستدامة تُعنى بحماية وتنمية الحياة الفطرية والتنوُّع الأحيائي في البيئات البرية والساحلية والبحرية. وتشمل هذه الجهود بناء قاعدة معرفية عن التنوُّع الأحيائي في المملكة، وتحديث الخطة الوطنية للأراضي الرطبة، وإعداد خرائط رقمية مكانية حديثة، ودعم برامج الرصد العلمي، والتعاون مع الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية المحلية والعالمية؛ لدعم عمليات الرصد، وبناء وتنفيذ خطط المحافظة على بيئات الأراضي الرطبة.

ولا تقتصر أهمية الأراضي الرطبة في المملكة على كونها مساحات طبيعية فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى كونها نظمًا بيئية غنية بثروات فطرية فريدة، تدعم الأمن المائي والغذائي، وتفتح آفاقًا للتنمية البيئية والسياحة المستدامة. ويأتي ذلك في انسجام مع أهداف "رؤية المملكة 2030" و"مبادرة السعودية الخضراء"، بما يعزّز جودة الحياة ويضمن الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية.

مخرجات الخطة الوطنية لمشروع الأراضي الرطبة

في إطار توسيع نطاق حماية الأراضي الرطبة، يعمل المركز على ترشيح مواقع إضافية ذات أهمية بيئية لتسجيلها ضمن قائمة اتفاقية "رامسار". وقد شملت الخطة الوطنية حصر أكثر من 600 موقع رطب في أنحاء المملكة، يتقاطع 244 منها مع نطاق محميات طبيعية قائمة، وتقييم بيئات الأراضي الرطبة، وحصر التنوُّع الأحيائي المرتبط بها، ودمج هذه البيانات في قواعد معلومات وطنية.

جزر فرسان: أول موقع رطب على قائمة "رامسار"

سُجِّلت جزر فرسان بوصفها أول موقع رطب يُدرج على قائمة الأراضي الرطبة ذات الأهمية الدولية ضمن اتفاقية "رامسار"، في خطوة تعكس التحوُّل النوعي في مسار حماية البيئات الطبيعية في المملكة. وتقع الجزر في البحر الأحمر على بُعد نحو 40 كيلومترًا من الساحل، وتُعدُّ أرخبيلًا مرجانيًا يضم أكثر من 170 جزيرة بين جزر صغيرة ونتوءات صخرية، تمتد على مساحة تتجاوز 10,600 هكتار. وتمثّل هذه الجزر فسيفساء بيئية نادرة تجمع بين الشعاب المرجانية، ومروج الأعشاب البحرية، والمسطحات الطينية، وغابات المانغروف الواسعة التي تهيمن عليها أنواع مثل: الشورة والقندل، إلى جانب أحراش الطلح والمر في المناطق الداخلية..

وادي تربة

كائنات الأراضي الرطبة

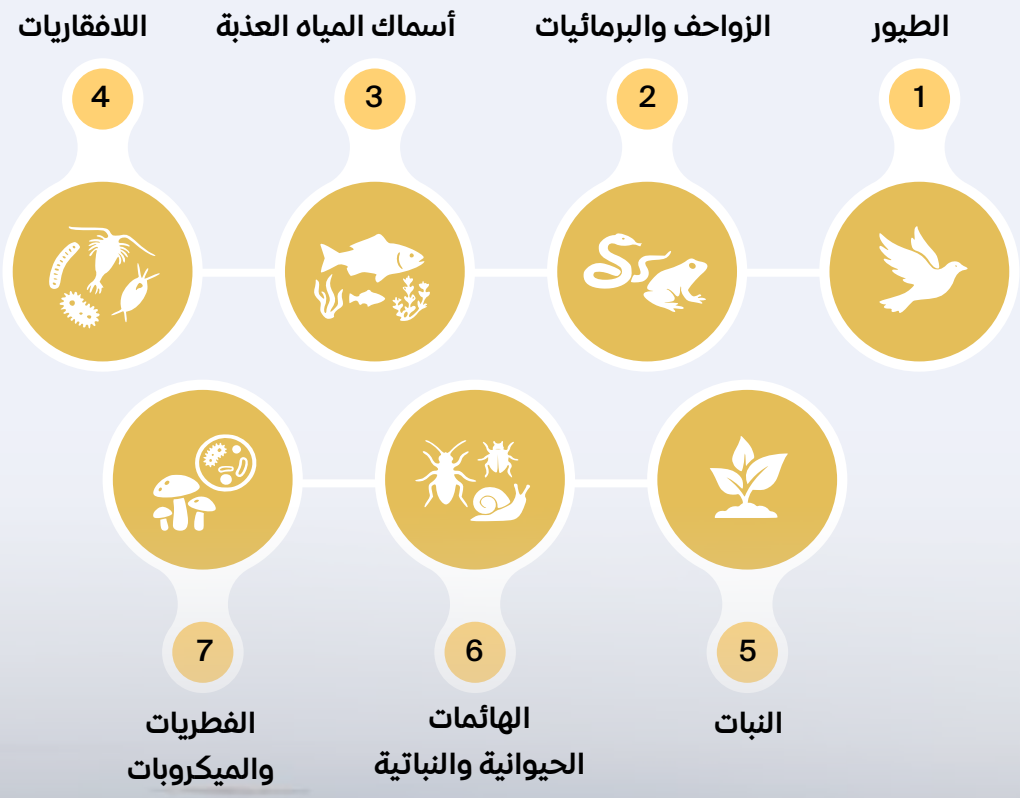

المصادر: اتفاقية رامسار، والتقييم العالمي للأراضي الرطبة، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة والهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيُّر المناخ.

محمية الأمير محمد بن سلمان الملكية

حيث تتقاطع الطبيعة مع ذاكرة الإنسان

- البيانات الميدانية والتقنيات الفضائية ترسم معًا خريطة الحياة البرية

- إعادة التوطين ليست إحياء الماضي فحسب، بل استعادة الوظائف البيئية المفقودة

- ملاذ مناخي حيوي في زمن يتسارع فيه فقدان الموائل

بين صمت الصخور البركانية، وهمس الأودية الخضراء، وزرقةٍ عميقةٍ تحتضن الشعاب المرجانية، تنسج محمية الأمير محمد بن سلمان الملكية حكاية مكانٍ يتجاوز حدود الجغرافيا. هنا، تتقاطع الطبيعة البرية والبحرية مع ذاكرة الإنسان، ويصبح الاكتشاف فعل إنصات طويل لما تخبئه الأرض من تنوّع وحياة وتاريخ. إنها محمية لا تُعرّف بوصفها مساحة محفوظة فحسب، بل عالمًا حيًّا يُعاد اكتشافه، وتُستعاد فيه العلاقة القديمة بين الإنسان وبيئته.

تمتد محمية الأمير محمد بن سلمان الملكية من سهول الحِّرات البركانية في الجبال، مرورًا بالأودية النابضة بالحياة والمراعي والسهول الرملية، وصولًا إلى ساحل تحيط به أشجار المانغروف وتغمره المياه العميقة للبحر الأحمر، لتُعدَّ واحدة من أكثر المناطق المحمية تنوعًا بيولوجيًا في الشرق الأوسط.

وتقع المحمية في قلب ممر بيئي يربط المشاريع العملاقة الرئيسة لـ"رؤية المملكة 2030"، وهي: نيوم، والعُلا، والبحر الأحمر الدولية، مما يمنحها دورًا محوريًا في تعزيز الترابط البيئي وحماية النظم ذات الأهمية العالمية.

وتجمع المحمية بين الحفاظ على البيئة البرية والبحرية ودورها بوصفها منصة للاكتشاف العلمي واستعادة النظم البيئية، بما يدعم التزامات "رؤية 2030" و"مبادرة السعودية الخضراء" في حماية 30% من أراضي المملكة وبحارها بحلول عام 2030.

مساحة استثنائية وثراء أحيائي متصاعد

تمتد محمية الأمير محمد بن سلمان الملكية على مساحة شاسعة تبلغ 24,500 كيلومتر مربع، تضم 20,517 كيلومترًا مربعًا من الأراضي البرية و3,856 كيلومترًا مربعًا من المساحات البحرية، بما في ذلك ساحل يمتد بطول 170 كيلومترًا و16 جزيرة. وتُعدُّ المحمية موطنًا لأكثر من 1,300 نوع، وهو رقم آخذ في الازدياد مع الاكتشافات المتواصلة لأنواع جديدة علميًا، أو أنواع تُسجّل لأول مرة في المملكة، إضافة إلى تسجيل امتدادات جديدة لنطاقات انتشار بعض الأنواع عالميًا، مما يجعلها واحدة من أكثر المواقع نشاطًا في اكتشاف التنوع الأحيائي. وفي هذا السياق، يوضح أندرو زالوميس، الرئيس التنفيذي للمحمية: "هذه الاكتشافات ذات أهمية بالغة؛ فهي تؤكد دور المحمية كملاذ مناخي حيوي، ولا سيَّما مع تزايد تأثير التغير المناخي على الموائل الطبيعية المعتادة لهذه الأنواع".

على الرغم من أن المناظر الطبيعية القاحلة قد تبدو خالية، فإن خمس سنوات من الدراسات الميدانية الموسمية كشفت عن ثراء أحيائي لافت. ففي عام 2021، وثّق أول مسح نباتي 121 نوعًا، ولكن بحلول عام 2026، أكدت النتائج الأخيرة وجود 521 نوعًا نباتيًا؛ أي ما يزيد على 20% من نباتات المملكة. وشملت هذه

النتائج اكتشاف ثلاثة أنواع جديدة عالميًا، ونوعًا جديدًا على مستوى المملكة، إضافة إلى توثيق 12 توسعًا في النطاق الجغرافي العالمي لبعض الأنواع.

ويُعدُّ "وادي الديسة" الأيقوني جزءًا من "الملاذات البيومناخية في غرب الجزيرة العربية"، بوصفه مركزًا استثنائيًا للتنوع البيولوجي البري. وفي هذا الموقع، سُجّل وجود نبات أوركيد "الخُبزية الشرقية" النادر *(Epipactis veratrifolia)*، فيما تنتصب غابات العرعر *(Juniperus turbinata)* حارسةً للطبيعة منذ أكثر من 400 عام. كما ينمو فيه نبات "الذنبان" المكتشف حديثًا *(Reseda sp. nov. aff. muricata)* إلى جانب نبات البليحاء *(Reseda pentagyna)* المهدد بالانقراض الشديد.

وفيما تقع المملكة عند تقاطع طريقين رئيسيين لهجرة الطيور: (البحر الأسود – البحر المتوسط)، و(غرب آسيا – شرق إفريقيا)، وثّقت البعثات العلمية منذ عام 2021، 265 نوعًا من الطيور، تُمثّل 49% من الأنواع الموثقة في المملكة. ويُعدُّ رصد "عقاب أبيض الذنب" مؤخرًا، وهو أول تسجيل وطني له منذ أكثر من عقدين، دليلًا واضحًا على نجاح استراتيجية استعادة الموائل في المحمية ودورها كملجأ آمن للأنواع المهاجرة.

كما وثّقت المسوحات البرية 28 نوعًا من الثدييات، من بينها تجمعات قوية للوعل النوبي، ونوعان من الزواحف الجديدة علميًا. ووثّقت المسوحات الليلية 18 نوعًا من الخفافيش، منها أول تسجيل وطني لخفاش "روبل".

أمَّا في أعماق البحر الأحمر، فتزدهر المحمية بشعاب مرجانية ممتدة تضم أكثر من 160 نوعًا من المرجان الصلب. وتوفر هذه الشعاب موئلًا حيويًا للأسماك والسلاحف صقرية المنقار المهددة بالانقراض، فيما تدعم النظم البيئية للأعشاب البحرية حيوان "الأطوم" المهدد بالانقراض، وتجمعات السلاحف الخضراء ذات الأهمية الوطنية.

حماية التنوع الأحيائي

يُعدُّ هذا التنوع الأحيائي المذهل أحد أعظم الأصول الطبيعية للمملكة، ولا سيَّما في الوقت الذي يُحذّر فيه الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة (IUCN) من أن 28% من الأنواع العالمية مهددة بالانقراض. وتتولى حماية هذه الثروة الطبيعية فرق من أبناء المنطقة أنفسهم، ممن يعرفون الأرض والمياه حق المعرفة؛ إذ يشكّل 234 رجلًا وامرأة فريق مفتشي البيئة في المحمية، يقومون بدوريات على مدار 365 يومًا في السنة، سيرًا على الأقدام، وبالمركبات، وفي البحر.

وقد حظيت مبادرة مفتشي البيئة باهتمام كبير، حيث استُقبل أكثر من 35,000 طلب منذ إطلاقها. ويخضع المقبولون لبرنامج تدريب مكثف يشمل قيادة سيارات الدفع الرباعي، والإسعافات الأولية، وجمع البيانات، والتتبع، والرصد. ويضم الفريق أول فرقة مفتشات بيئيات في الشرق الأوسط؛ إذ يشكلن 36% من فريق مفتشي المحمية؛ أي ثلاثة أضعاف المتوسط العالمي البالغ 11% فقط.

حتى اليوم، أنجز الفريق المكون من 234 فردًا ما يقرب من 50,000 دورية، يعملون خلالها جنبًا إلى جنب مع القوات الخاصة

للأمن البيئي وحرس الحدود، لحماية الأصول الطبيعية والثقافية للمحمية برًا وبحرًا. وتشمل مهامهم المراقبة البيئية لتوجيه استراتيجيات الحفظ، ودعم برامج إعادة توطين الحيوانات، وإدارة مجموعات الحياة البرية، والإشراف على مشاريع التنمية لضمان الامتثال لتقييمات الأثر البيئي والاجتماعي.

تقنيات متطورة في البر والجو والبحر

وفي حين نجحت الدراسات الميدانية متعددة المواسم في تأكيد وجود الأنواع المختلفة داخل المحمية، يتمثّل التحدي التالي في تعميق فهمنا لكيفية استخدام هذه الكائنات لموائلها، وتتبع تحركاتها وأنماط هجرتها، ولا سيَّما الكائنات البحرية والطيور المهاجرة. وبينما توفر ملاحظات مفتشي البيئة بيانات ميدانية أساسية، تتيح تقنيات الأقمار الصناعية المتطورة للمحمية رسم خرائط دقيقة لتحركات الأنواع في البر والجو والبحر.

وفي عام 2025، ركّبت المحمية أجهزة تتبع على ثلاث سلاحف من نوع "صقرية المنقار" المهددة بشدة بالانقراض، وسبع سلاحف خضراء، لرسم خرائط مسارات هجرتها عبر البحر الأحمر. وتتنقل السلاحف في البحر الأحمر عبر مساحة تصل إلى 438,000 كيلومتر مربع من المياه المفتوحة التي تحدها ثماني دول، قبل أن تعود إلى شواطئ موطنها الأصلي للتعشيش. وتدعم بيانات التتبع هذه تحديد مواقع التوقف والتغذية والتعشيش، كما تسهم في صياغة خطط الحفظ الإقليمية.

أمَّا في الأجواء، فقد قطع نسران من نوع النسر الأسمر، مزودان بأجهزة تتبع عبر الأقمار الصناعية، أكثر من 250,000 كيلومتر خلال 3 سنوات، مما وفّر معلومات قيمة حول مسارات الطيران وطرق الهجرة. كما شملت عملية إعادة توطين طيور الحبارى الآسيوية، مؤخرًا، تركيب أجهزة تتبع لـ10 طيور، لتوفير بيانات أساسية حول معدلات البقاء، وأنماط الحركة، واستخدام الموائل، والتهديدات التي تواجه الطيور المعاد توطينها. وستسهم هذه المعلومات في توجيه عمليات الإطلاق المستقبلية ودعم إنشاء مجموعات برية مستدامة داخل المملكة والمنطقة.

وعلى اليابسة، ركّبت المحمية أطواق تتبع عبر الأقمار الصناعية لقط الرمال، لفهم هذا النوع الصحراوي المراوغ بشكل أدق، نظرًا لندرة البيانات المتاحة عنه. بالإضافة إلى ذلك، نُشرت أكثر من 100 كاميرا مراقبة في أنحاء المحمية، لتوفير رصد مستمر لحركة الأنواع البرية والبيانات اللازمة لضمان حمايتها بفعالية.

إعادة التوطين

ينفّذ إطار الإدارة البحرية والبرية طويل الأجل، المعتمد من مجلس إدارة المحمية، برامج استعادة الموائل عبر مساحة 24,500 كيلومتر مربع. وبالتكامل بين برنامج مفتشي البيئة المتقدم والمشاركة المجتمعية الفاعلة، توفّر الحماية والظروف البيئية اللازمة لدعم إعادة التوطين على نطاق واسع. وتتمثل مهمة المحمية في إعادة 23 نوعًا كانت موجودة تاريخيًا، بما يتيح استعادة الوظائف الكاملة للنظام البيئي والهرم الغذائي.

وقد جرى اختيار الأنواع الـ23 بناءً على بحث علمي دقيق، مع الاسترشاد بالتراث الثقافي المنتشر في أرجاء المحمية؛ إذ

تُظهر آلاف النقوش الصخرية المنحوتة في صخور الحجر الرملي الأنواع التي واجهها أجدادنا في هذه الأراضي. من بين الأنواع المختارة، ما انقرض محليًا أو عالميًا؛ وفي هذه الحالة، يُعتمد أقرب تطابق جيني متاح لضمان أداء الوظيفة البيئية نفسها.

في ديسمبر 2025، وبالشراكة مع المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية وجهات أخرى، أعادت المحمية توطين النعام أحمر الرقبة *(Struthio camelus camelus)*، المعروف أيضًا باسم نعام شمال إفريقيا وهو أقرب الأقارب الجينيين الباقين للنعامة العربية التي كانت تتجول في أنحاء شبه الجزيرة العربية ولكنها انقرضت في النصف الأول من القرن العشرين.

من ناحية أخرى، يوضح أندرو زالوميس، الرئيس التنفيذي لمحمية الأمير محمد بن سلمان الملكية: "أن عودة طيور النعام إلى مراعيها التاريخية تدعم استعادة النظم البيئية الصحراوية التي تشكّلت تاريخيًا بفعل الحيوانات الكبيرة التي ترعى النباتات. لا يمكن اعتبار النظم البيئية مستعادة بالكامل إلا عند إعادة الأنواع المفقودة، أو ما يعادلها بيئيًا. لذلك، نعتبر عودة النعام أحمر الرقبة خطوة بارزة نحو استعادة المحمية وإنشاء مجموعة تأسيسية لبرامج التربية والاستعادة الوطنية في المملكة العربية السعودية".

وحتى اليوم، أعادت المحمية توطين 14 نوعًا من أصل 23، يتكاثر خمسة منها بنجاح. وفي عام 2024، أعادت المحمية توطين الحمار البري الفارسي، من خلال شراكة دولية مع الجمعية الملكية لحماية الطبيعة، ليس داخل المحمية فحسب، بل على مستوى المملكة. وقد أُحضر كبديل للحمار البري السوري المنقرض، بهدف تمكين المجموعة التأسيسية من دعم عودته إلى المملكة والمنطقة.

التراث الثقافي

لا يقتصر الاكتشاف في المحمية على تراثها الطبيعي فقط. إذ توثّق الأدلة الأثرية والتراثية المنتشرة في أرجائها تفاعلًا طويل الأمد بين الناس والبيئة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية. وتواصل المحمية تحقيق اكتشافات جديدة تثري فهم هذا التاريخ المتجذر.

في هذا السياق، تُعدُّ آلاف النقوش الصخرية أقدم الشواهد على النشاط البشري في المحمية. فيما تعود الهياكل الحجرية إلى حوالي 8,000 قبل الميلاد. كما يحتضن وادي الديسة قبرًا مميزًا منحوتًا يعود إلى العصر النبطي. وبحكم موقعها معبرًا لطريق الحج المصري، تحولت المحمية إلى بوتقة تلاقٍ ثقافي، انطلق عبرها الحجاج من خلفيات عرقية مختلفة في رحلتهم.

وقد حظي هذا التراث المادي الغني باعتراف اليونسكو، كما ذكرنا سابقًا. إذ تضم المحمية موقعين ثقافيين متسلسلين مُدرجين على القائمة التمهيدية لمواقع التراث العالمي هما: الهياكل الحجرية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ في المملكة العربية السعودية، وطريق الحج المصري.

واليوم، تزخر المحمية بتراث ثقافي مادي وغير مادي حيّ. وتُعدُّ تربية الإبل وسباقاتها من أبرز ملامحه، وهي ممارسة جذبت المجتمعات المحلية لآلاف السنين. كما تحتفظ كل جماعة بتقاليدها الخاصة التي تتشابك لتشكل نسيجًا ثقافيًا غنيًا لمجتمعات تعيش في انسجام مع الصحراء وفصولها. ويتمثل دور المحمية في توثيق هذا التراث الثقافي وحمايته للأجيال القادمة.

انطلاقًا من ذلك، تتمثّل رؤية المحمية في أن تصبح محمية صحراوية ذات مكانة عالمية، حيث تلتقي العلوم والحفاظ على البيئة وصون التراث الثقافي لتشكّل مصدر إلهام للأجيال القادمة، ومختبرًا حيًّا لاستعادة العلاقة المتوازنة بين الإنسان والطبيعة.

الجربوع العربي..
ابن الرمال الذي لا يُخدع

- مرآةٌ دقيقة للتكيف مع أقسى البيئات على وجه الأرض
- لديه إمكانات بيولوجية ضخمة تتجاوز ضآلة جسمه
- يعتمد على الماء المخزن في البذور والنباتات التي يتغذّى عليها

خالد المالكي
اختصاصي بيئة برية

يُعد الجربوع العربي أحد أكثر الكائنات الصحراوية تكيفًا مع البيئات القاسية، رغم صغر حجمه وصعوبة رصده، ذلك أن قفزته تفوق ضعف طول جسمه.

أطلق العلماء على هذا القارض الصحراوي اسم *(Jaculus loftusi)*، لكنه يُعرف محليًا باسم "الجربوع" وباللغة الفصحى يُقال له "اليربوع". وهو ليس مجرد حيوان صغير عابر، بل مرآةٌ دقيقة للتكيف مع أقسى البيئات على وجه الأرض، وشاهدٌ حي على الترابط العميق بين الكائنات التي تعيش في النظام البيئي الصحراوي.

قد يخدعك حجمه الصغير الذي لا يتجاوز 30 سنتيمترًا من الرأس إلى الذيل، لكن التفاصيل تحمل أسرارًا كثيرة؛ فالأرجل الخلفية طويلة بشكل لافت، وهي أشبه بزنبركات طبيعية تخوله أن يقفز لمسافة مترين تقريبًا هربًا من أي تهديد. أمَّا ذيله الطويل الذي ينتهي بخصلة بيضاء وشريط أسود، فيعمل كذراع توازن مثالي أثناء القفزات المتعرجة. والأذنان الكبيرتان ليستا مجرد أدوات سمع حادة، بل هما وسيلة لتبديد حرارة الجسم تحت لهيب النهار.

الفرو الرملي المائل إلى البرتقالي مع بطن أبيض ناصع يجعله متخفّيًا على أرضية الصحراء وكأنه جزء من الكثبان الرملية. هذه الصفات ليست مجرد ملامح شكلية، بل ترسانة من التكيفات تشكّلت عبر آلاف السنين كي ينجو في بيئة قاسية لا تمنح فرصة للخطأ.

الموطن والانتشار

ينتشر الجربوع العربي في الصحاري الرملية والخالية من الأشجار، بما في ذلك جميع البيئات الصحراوية في المملكة العربية السعودية، ويحفر جحورًا لولبية يُبقي مدخلها مغلقًا بالرمال في فترة النهار، وقد تصل إلى عمق مترين وتنتهي بالعش في نهاية الجحر. ينشط الجربوع العربي بعد غروب الشمس ويمتد نشاطه إلى منتصف الليل.

الجربوع العربي في الأمثال

ضربت العرب الأمثال بالجربوع؛ إذ يُعدُّ صيدًا هزيلًا لا يستحق العناء. فبحسب موقع سعودي بيديا، يُقال:
"جربوع ما يسوى تعبه"، وذلك للدلالة على الأمر التافه الذي يُبذل فيه جهد كبير.

ويُقال أيضًا: **"جربوع في خبار"**، والخبار أرض رخوة كثيرة الجحور، يضل فيها الباحث عن الجربوع لصعوبة صيده. وقد ورد في الشعر تشبيه التواري عن الغرماء بمهارة الجربوع في الاختفاء والتمويه.

السلوك العام

يبني الجربوع أنفاقًا بسيطة في الأرض الحصوية أو ممرات متشابكة في الرمال، بعضها مؤقت يُستخدم للهروب السريع، وغالبًا ما تكون هذه الجحور ضحلة وغير محمية. أمَّا الجحور الدائمة، فتحتوي على غرف للتخزين وعلى غرف للسبات وغرف أخرى للتعشيش. وتُغلق مداخل هذه الجحور بإحكام بالرمال أو الأعشاب للتمويه وللحفاظ على الرطوبة ومستوى الحرارة، حيث يمضي الجربوع ساعات النهار القائظ بهدوء تام في هذه الجحور، ولا يخرج إلا مع حلول الظلام حين تنخفض درجات الحرارة ويعمّ السكون.

يقول الجاحظ في كتاب "الحيوان": "لليربوع جحران: النافقاء والقاصعاء، فالنافقاء مغطاة، والقاصعاء بارزة". ذلك أن الجربوع يحتال على أعدائه باستخدام ما يُسمى "النافقاء"، وهي أنفاق وممرات ذات مداخل متعددة للجحر يتم إخفاؤها بعناية. ويكون أحد المخارج ظاهرًا، في حين يتم إخفاء المداخل الأخرى؛ لأن الجربوع قد يستخدمها فخًا أو بوابة للهروب من عدو غير متوقع.

وهذا السلوك يُظهر ذكاء الجربوع وقدرته على التخطيط والبقاء، وهو ما جعل العرب يضربون به المثل في الحيلة والدهاء.

سلوك التكاثر

يتكاثر هذا النوع مرتين سنويًا كل ثلاثة أشهر: من يونيو إلى يوليو، ومن أكتوبر إلى ديسمبر. تنتج الإناث ما بين 2 و7 مواليد جديدة بعد فترة حمل تستمر حوالي 25 يومًا. يعيش الجربوع العربي في الصحاري الرملية والخالية من الأشجار، ينتشر في المملكة في البيئات الصحراوية والرملية.

خزان ماء متنقل

الجربوع العربي لا يشرب الماء طوال حياته، ويعتمد في بقائه على الماء المخزن في البذور والنباتات التي يتغذّى عليها. وهذه واحدة من المعجزات الصغيرة في عالم الأحياء، ذلك أن جسد هذا الكائن يقوم بتحويل كل حبة بذور إلى مزيج من الطاقة والرطوبة، بما يكفيه ليعيش في مكان قد يهلك فيه حيوان أكبر خلال أيام قليلة.

دور بيئي يتجاوز حجمه

على الرغم من ضآلة جسمه، فإن للجربوع العربي مكانة جوهرية في النظام البيئي الصحراوي. فهو يشكّل مصدر غذاء للحيوانات الصحراوية، مثل الثعالب والأفاعي والطيور الجارحة. وتعدُّ البومة النسارية إحدى المفترسات الطبيعية لهذا النوع؛ إذ تتغذى على أعداد كبيرة منه على مدار السنة. ولأنه يقوم بحفر الجحور لحماية نفسه، فهو يسهم في تهوية التربة وتوزيع المغذيات.

وتؤدي طريقته في التغذية دورًا أساسيًا في تجديد الغطاء النباتي، فغذاؤه الأساسي هو الحبوب والأجزاء الخضراء من النباتات الصحراوية. وترتبط دورة حياة هذا الكائن بمهارة نادرة في نقل البذور وتخزينها، وهو ما يساعد في نثر تلك البذور وظهور نبتة جديدة في البيئات التي يكاد يكون فيها كل بذرة ثروة، وهذا ما يجعله مهندسًا بيئيًا غير مرئي يحافظ على استمرارية النباتات في بيئة شحيحة. وبهذا يصبح هذا القارض ركيزة أساسية في توازن الصحراء.

تهديدات صامتة

رغم أن الجربوع العربي لا يُصنف حاليًا ضمن الأنواع المهددة، إلا أن الضغوط المتزايدة على الموائل الصحراوية قد تؤثر على استقراره مستقبلًا، أو بسبب الأنشطة البشرية التي تقام في الصحاري. فالمركبات الصحراوية قد تدمّر الجحور وتقضي على مناطق استيطان هذا الكائن. كما يسهم استغلال الصقارين في جعل الجربوع وجبة أساسية للصقور في تهديد أعداد هذا الحيوان. لكن مع تغيّر المناخ وتسارع التنمية، فإن الموائل الصحراوية الهشة قد تسهم في تهديد هذا الكائن بصمت.

وضعه في القائمة الحمراء

يرافق تصنيف الجربوع العربي التباس، فالعلماء كانوا يصنفونه ضمن الجربوع المصري (Jaculus jaculus) الذي وضعه الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة (IUCN) في فئة الأقل قلقًا. لكن الأبحاث

> **على الرغم من ضآلة جسمه، فإن للجربوع العربي مكانة جوهرية في النظام البيئي الصحراوي.**

الحديثة فرّقت بين النوعين، وأدرجت *(Jaculus loftusi)* كنوع مستقل.

حتى اليوم لا يزال وضع الجربوع العربي *(Jaculus loftusi)* في القائمة العالمية غير مُقيَّم (NE)، وهو أمر يشير إلى أن المجتمع العلمي لم يُنجز بعدُ تقييمًا رسميًا عن أعداد هذا الحيوان وما إذا كان يقترب من خطر الانقراض.

كيف نحافظ عليه؟

إن الحفاظ على الجربوع العربي ليس ترفًا بيئيًا، بل ضرورة لإدامة توازن الصحراء. وثمّة توصيات جديرة بالاهتمام للحفاظ على هذا الحيوان:

حماية الموائل الرملية من التدهور والتجزئة

إدارة الرعي في المناطق الصحراوية للحفاظ على الغطاء النباتي الذي هو قليل بطبيعته.

تقليل آثار المركبات البرية على الكثبان

إطلاق برامج رصد طويلة الأمد لمعرفة اتجاهات أعداد هذا الحيوان بدقة.

توثيق جيناته ضمن برامج المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية بما يسهم في أي خطط مستقبلية لإعادة التوطين.

الاسم العلمي: *(Jaculus loftusi)*

الطائفة: الثدييات (Mammalia)

الأسماء الشائعة: الجربوع العربي (Arabian Jerboa)

الرتبة: القوارض (Rodentia)

الفصيلة: اليربوعيات (Dipodidae)

المملكة: الحيوانات (Animalia)

الجنس: Jaculus

الشعبة: الحبليات (Chordata)

الوصف: قارض صغير الحجم لا يتجاوز طوله 30 سنتيمترًا، يُعرف بقفزاته العالية التي تشبه قفزات الكنغر، ويكسو جسمه فراء ناعم رملي اللون. وأطرافه الأمامية قصيرة والخلفية طويلة. يبلغ طول الذيل ثلثي طول الجسم وينتهي بخصلة شعر بيضاء. ويتميز الجربوع العربي بأذنين قصيرتين لا يتجاوز طولهما سنتيمترين. كما أن محفظة الأذن الداخلية متضخمة لتمكن الجربوع من سماع أخفت الأصوات. وتنتهي القدم الخلفية بثلاث أصابع، ويوجد على باطنها شعر أبيض اللون.

الانتشار: المناطق الصحراوية وشبه القاحلة في شبه الجزيرة العربية.

الموطن: الصحاري الرملية والحصوية قليلة الغطاء النباتي.

النشاط: حيوان ليلي، يخرج عند انخفاض الحرارة.

الغذاء: الحبوب والبذور، لا يشرب الماء، بل يحصل عليه من غذائه.

الدور البيئي: نثر البذور، وتهوية التربة، ويُعدُّ فريسة أساسية للطيور الجارحة والثعالب.

الحالة الحمراء (IUCN) غير مُقيّم (NE)، ويبدو أقل قلقًا (LC).

التهديدات: فقدان الموائل، والرعي الجائر، والمركبات، واستغلاله من قِبل مربي الصقور كطعام للصقور.

أهمية الحفاظ عليه: عنصر رئيسي في توازن الصحراء، ويُعدُّ مؤشرًا لصحة الأنظمة البيئية الصحراوية.

الأسد العربي..

المفترس الذي شكّل البيئة الصحراوية ثم اختفى

أمين نجيب

لم يكن اختفاء الأسد من الجزيرة العربية مجرد انقراض لحيوان مهيب، بل غياب لحجر الزاوية لمنظومة بيئية كاملة. فعلى امتداد آلاف السنين، كان وجوده يعكس توازنًا دقيقًا بين مفترس وفرائسه، وبين النبات والأرض والمناخ. وحين اختفى في أواخر القرن التاسع عشر، لم تُفقد صورة "ملك الغابة" فحسب، بل فُقد عنصر تنظيمي في قمة الهرم الغذائي.

غير أن قصة الحياة الفطرية في الجزيرة العربية لا تسير في اتجاه واحد. ففي الوقت الذي طُويت فيه صفحة الأسد، بدأت صفحة أخرى تُكتب؛ صفحة المها العربية، التي عادت من حافة الفناء لتصبح إحدى أنجح قصص الإحياء البيئي عالميًا. بين هاتين الحكايتين، اختفاء مفترس أعلى وإنقاذ عاشب صحراوي، تتكشف أسئلة عميقة عن دور الإنسان في الانقراض والإنقاذ.

لم يكن الأسد العربي نوعًا مستقلًا، بل جزءًا من السلالة الشمالية للأسود (*Panthera leo leo*) وفق التقسيم المعتمد من الاتحاد الدولي لصون الطبيعة منذ 2017م، الذي يقسّم الأسود إلى سلالتين رئيستين: سلالة شمالية (غرب/ شمال إفريقيا – الهند)، وسلالة جنوبية/ شرقية (*IUCN Red List*). امتد وجود السلالة الشمالية تاريخيًا إلى بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية، بينما يمثّل الأسد الآسيوي في الهند آخر تجمع حيّ لها.

تُظهر الدراسات الجينية أن الأسود في غرب إفريقيا والهند أقرب إلى بعضها من قربها لأسود شرق إفريقيا، مما يشير إلى عزلٍ تطوري سببه تغيرات مناخية قديمة. كما تُسجَّل فروق مورفولوجية، منها قِصر وقلة كثافة اللبدة، ووجود طيّة جلدية بطنية أوضح في الأسود الآسيوية مقارنةً بكثير من الأسود الإفريقية (*Smithsonian National Zoo*).

مفترس أعلى وصانع توازن

لم يكن وجود الأسد في أجزاء من شبه الجزيرة العربية مجرد حضور لحيوان كبير، بل كان عنصرًا تنظيميًا محوريًا في البنية البيئية. وهو يُصنَّف ضمن ما يُعرف في علم البيئة بـ"المفترس الأعلى" (*Apex Predator*)؛ أي الكائن الذي يتربع على قمة الشبكة الغذائية. هذا الموقع لا يمنحه الهيمنة فحسب، بل يحمّله وظيفة بيئية دقيقة تتمثل في ضبط توازن الشبكة الغذائية.

يمارس المفترس الأعلى ما يُعرف بـ"الضغط الافتراسي" على مستويات أدنى من السلسلة الغذائية، خصوصًا العواشب الكبيرة. في بيئات الجزيرة العربية شبه القاحلة، كان ذلك يشمل الغزلان والوعول وأنواعًا أخرى من الثدييات متوسطة إلى كبيرة الحجم. هذا الضغط لا يعني فقط تقليل أعداد الفرائس، بل التأثير في سلوكها أيضًا؛ إذ تميل الفرائس في وجود مفترس فعّال إلى تغيير أنماط الرعي والحركة وتجنّب مناطق معينة. يُسمّى هذا التأثير السلوكي أحيانًا "مناطق الخوف" (*Landscape of Fear*)؛ حيث يعيد المفترس تشكيل توزيع الكائنات في المكان دون أن يصطادها جميعًا.

ينعكس ذلك مباشرة على الغطاء النباتي. فعندما تُضبط أعداد العواشب أو تُقيَّد حركتها، تتاح للنباتات فرصة للنمو والتجدد، وهو ما يعزّز استقرار التربة ويقلل من التعرية، ولا سيَّما في البيئات الهشة وشبه الصحراوية. تُعرف هذه العملية في الأدبيات البيئية باسم "الشلال الغذائي" (*Trophic Cascade*)؛ إذ يمتد تأثير المفترس من أعلى الهرم الغذائي إلى قاعدته النباتية. وقد أظهرت دراسات عالمية أن اختفاء المفترسات الأعلى قد يؤدي إلى انفجار أعداد العواشب، يتبعه تدهورٌ نباتي، ثم تغيّرٌ في تركيب المجتمع الحيوي بأسره.

في سياق الجزيرة العربية، يُرجّح أن غياب الأسد أسهم في اختلالات تدريجية في ديناميات العواشب، ولا سيَّما مع تزامن ذلك مع ضغوط بشرية متزايدة كالرعي المكثف والصيد وفقدان الموائل. ومع أن التغيرات البيئية لا تُعزى إلى عامل واحد، فإن إزالة المفترس الأعلى تُعدّ من العوامل المعروفة بتسريع التحولات في النظم البيئية.

انقرض الأسد من الجزيرة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نتيجة تراكم الصيد المباشر، وتقلّص الموائل، وتراجع الفرائس. ولم يكن الانقراض نتيجة وباء مفاجئ أو كارثة طبيعية، بل كان مسارًا تدريجيًا لضغوط بشرية ممتدة. ومنذ ذلك الحين، افتقدت البيئات المحلية هذا العنصر المنظِّم في قمة الهرم الغذائي.

أمَّا مسألة إعادة توطينه اليوم، فتواجه تحديات بيئية واجتماعية معقدة. يحتاج مفترس بحجم الأسد إلى مساحات شاسعة متصلة، وقاعدة فرائس مستقرة، وأطر قانونية وإدارية لإدارة التفاعل مع المجتمعات المحلية. كما يتطلب قبولًا اجتماعيًا واستعدادًا لتحمّل تبعات وجود مفترس كبير في مشهد بيئي بات مجزّأً. لذلك، لا توجد خطط عملية لإعادته حاليًا، لكن فهم دوره السابق يظل ضروريًا لتقدير الوظائف البيئية التي فُقدت بغيابه، ولإدارة النظم الطبيعية المتبقية بمنظور أشمل لديناميات السلسلة الغذائية.

البرص العربي المنقط الصغير..

سيد التكيف في البيئة القاحلة

يُعدّ التنوع الأحيائي في شبه الجزيرة العربية، ولا سيّما في مناطقها الصحراوية القاحلة، كنزًا غنيًا لا يزال يكشف عن أسراره تدريجيًا. وفي سياق الجهود البحثية الرامية إلى فهم التركيب الجيني والتصنيفي لمجموعة السحالي الحافرية (*Lacertidae*)، جرى مؤخرًا وصف نوع جديد من جنس (*Mesalina*)، وهو البرص العربي المنقط الصغير (*Mesalina cryptica sp. nov*).

يُسلّط اكتشاف هذا النوع الضوء على ظاهرة "الأنواع المستترة" (*Cryptic Species*)، وهي كائنات تشبه ظاهريًا أنواعًا أخرى معروفة، ولكنها تتميز عنها جينيًا وبيولوجيًا، مما يؤكد أن الصحاري الإقليمية ليست خالية من التنوع، بل هي موطن لكثير من الكائنات التي لم تُكتشف بعد.

رحلة استكشاف

منذ عام 2018، انطلق مشروع علمي طموح، أشبه بـ"رحلة استكشاف" حديثة، لتوثيق هذه الكائنات الزاحفة في المنطقة. لم يكن هذا مجرد مسح، بل كان تحالفًا دوليًا ضم مؤسسات تعليمية وبحثية رائدة من مختلف أنحاء العالم.

لقد تضافرت جهود فرق من جامعة حائل، والمركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية بالرياض، وجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست)، ومحمية نيوم الطبيعية، وهيئة تطوير محمية الأمير محمد بن سلمان في المملكة العربية السعودية، مع خبراء من جامعة تشارلز والمتحف الوطني في جمهورية التشيك، وجامعة بومبيو فابرا في برشلونة. وامتدت يد التعاون لتشمل مؤسسات علمية من ماليزيا وجمهورية الكونغو وجنوب إفريقيا، وحتى جامعة عدن.

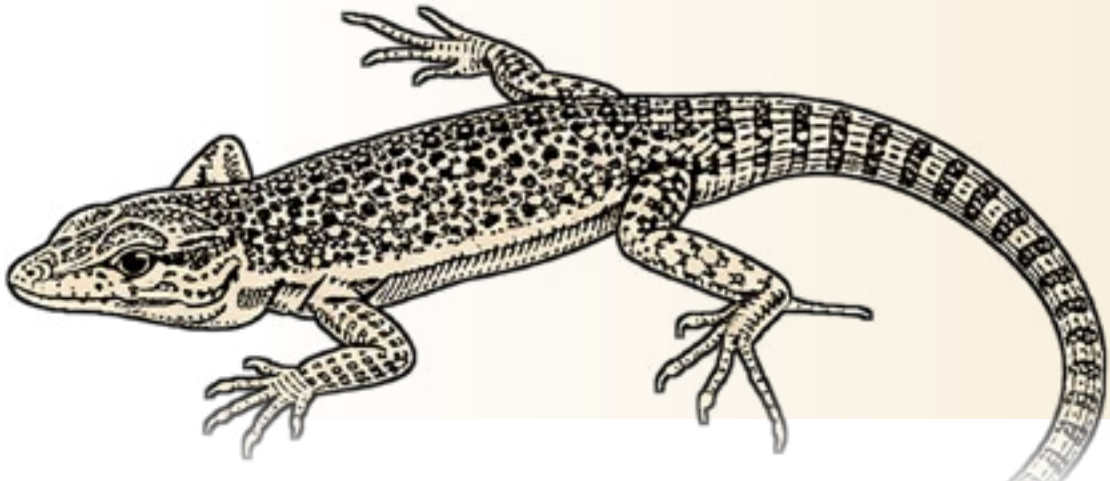

وأثمرت هذه الجهود البحثية عن اكتشاف مثير في جروف طويق غرب الرياض: نوع جديد من السحالي! هذا الكائن الزاحف الصغير، الذي نجح في التخفي عن الأنظار لعقود، جرى توثيقه في ثلاثة بلدان عربية، هي: المملكة العربية السعودية، ودولة الكويت، والمملكة الأردنية الهاشمية. وقد نُشرت نتائج الاكتشاف في المجلة العلمية الدولية (*BMC Zoology*).

كائن نهاري

البرص العربي المنقط الصغير هو سحلية *صغيرة* نهارية تنتمي إلى فصيلة السحالي الحقيقية (*Lacertidae*)، وتُعرف بأنها من رتبة الحرشفيات (*Squamata*). اسم النوع "كريبتيكا" (*cryptica*) يعني "الخفي" أو "المستتر"، وهي تسمية تشير مباشرة إلى حقيقة أن هذا الكائن كان يُخلط بينه وبين الأنواع الأخرى الشائعة من جنس (*Mesalina*)، مثل (*M. guttulata*)، لعقود طويلة بسبب التشابه المورفولوجي السطحي.

يتميز الكائن الجديد بأنه *صغير* الحجم نسبيًا. ويظهر نمط تنقيط مميز على ظهره، يساعد في تفريقه عن الأقارب الأشد شبهًا.

ويكمن التمايز الأساسي والرئيسي له في الاختلاف الجيني الواضح والعميق عن بقية أعضاء مجموعة (*M. guttulata*)، حيث أثبتت التحليلات الجزيئية أنه يمثّل سلالة تطورية مستقلة.

الموطن

يُفضّل هذا البرص العيش في البيئات الصحراوية ذات الحصى الصلبة والصخور المتناثرة والمناطق المائلة (*scree slopes*)، ويتجنب بشكل قاطع الرمال الناعمة أو الرخوة. ويستغل شقوق الصخور والمواقع المحمية للاحتماء من حرارة النهار والحيوانات المفترسة، وهو سلوك يميزه عن بعض الأنواع الأخرى التي تفضل الاختباء في الرمال. وهذا التفضيل للبيئات الصخرية والحصوية هو جزء من الخصائص البيئية التي تساعد في تمييزه.

واكتشاف سحلية *صغيرة* في علم البيئة له دلالات عميقة تتمثّل في:

- ثراء بيولوجي غير مرئي: يؤكد هذا النوع أن البيئات الصحراوية، التي تبدو للوهلة الأولى فقيرة، هي في الحقيقة نقاط ساخنة للتنوع الأحيائي غير المكتشف. كل كائن جديد يتم وصفه يُسهم في فهمنا لشبكة الحياة المعقدة.

- خريطة للتطور: يوفر النوع الجديد للعلماء "نقطة بيانات" حاسمة لـتصحيح التصنيف، وفهم كيفية نشوء السلالات الحيوانية وتوزعها الجغرافي، استجابةً للتغيرات المناخية عبر ملايين السنين

الكائن	البرص العربي المنقط
الاسم العلمي	*Mesalina cryptica sp. Nov*
التعريف	سحلية نهارية *صغيرة* من فصيلة Lacertidae، تم فك شفرة هويتها عبر التحليل الجيني بعد عقود من التخفي.
الانتشار	تم توثيق انتشاره في السعودية (الموقع النموذجي – جروف طويق) والكويت والأردن.
الموطن المفضل	يُفضّل العيش في بيئات الحصى الصلبة والمناطق الصخرية القاسية، ويستخدم الشقوق للاحتماء.
أهمية الاكتشاف	يساعد في بناء شجرة نسب دقيقة لعائلة *Mesalina*، وتصحيح الأخطاء العلمية التي دامت لعقود.

حوت براید
مؤشر حيوي لصحة النظم البيئية البحرية

- يعيش حوت براید في المياه الاستوائية وشبه الاستوائية والمعتدلة الدافئة حول العالم

- يُعدُّ وجوده مؤشرًا على صحة النظام البيئي الذي يعيش فيه

عِلم الحيتانيات جديد نسبيًا في المنطقة العربية، حيث تعود ملاحظات الحيتانيات في المياه قبالة شبه الجزيرة العربية إلى أواخر القرن التاسع عشر، كما تشير معظم السجلات الحديثة إلى ملاحظات أُجريت خلال العقدين أو الثلاثة الماضية. ولذلك، لا تزال التقارير المنشورة عن الحيتانيات قليلة.

في المياه قبالة شبه الجزيرة العربية توجد أربعة أنواع من حيتان البالين و18 نوعًا من الحيتان المُسنّنة، التي تتضمن الحيتان والدلافين وخنزير البحر. ومع ذلك، قد توجد أنواع أخرى في المنطقة، ولا سيَّما في المياه البحرية التي نادرًا ما تُجرى عليها مسوحات. ومن بين حيتان البالين التي أُكِّد وجودها في المنطقة، حوت برايد، وحوت المحيط الهندي الأزرق، وحوت أومورا، والحوت الأحدب.

حيتان برايد أو بريدي

تُنسب حيتان برايد إلى الحيتان البالينية وتفضّل المياه الدافئة. غير أنه لا تزال معرفة العلماء بهذه الحيتان محدودة مقارنةً بما يعرفونه عن الأنواع الأخرى، خاصة الحوت الأحدب في المياه قبالة شبه الجزيرة العربية.

ذلك أن نسبة حيتان برايد إلى الحيتان الاستوائية، ما هو إلا توصيف لتفضيلها المياه التي تبلغ درجة حرارتها 20 درجة مئوية فأعلى. ولهذا، توجد الحيتان في كل المياه القريبة من الشاطئ وفي المياه المفتوحة بين خطي عرض 40 درجة جنوبًا و40 درجة شمالًا.

أمَّا نسبتها إلى الحيتان البالينية، فما هو إلا توصيف آخر حول وجود الصفائح البالينية التي يستخدمها الحوت لتصفية الماء والإبقاء على الطعام. هذه الحيتان لا تنمو لها أسنان إلا في المرحلة الجنينية، ويندرج تحت هذه التسمية حوالي 15 نوعًا من الحيتان.

سابقًا كان هناك خلط بين حيتان برايد وحيتان ساي، وهي حيتان أكبر حجمًا من حيتان برايد، وتنتشر جغرافيًا في الأماكن المعتدلة وشبه القطبية. ويحدث المزيد من الارتباك حول حيتان برايد بسبب وجود نوعين من هذه الحيتان، التي صُنِّفت على أنها نوعان فرعيان بنطاقات متداخلة جزئيًا.

الأول هو حوت عدن *(Balaenoptera edeni)* الذي يعدُّ أصغر حجمًا. أمَّا الثاني، فهو حوت أومورا *(Balaenoptera omurai)*. ويتداخل نطاق انتشار حوت برايد مع هذين النوعين، ويعمل علماء التصنيف وعلماء الوراثة والباحثون

الميدانيون على فهم هذه المجموعة من الأنواع بشكل أفضل. غير أن الخلط وارد بين حيتان برايد والحيتان الأخرى، مثل: حوت برايد، وحوت المحيط الهندي الأزرق، وحوت أومورا، والحوت الأحدب، وحوت الساي. فعلى الرغم من لونها الفريد وحجمها الكبير خلافًا عن حوت برايد، فإن التمييز بين حيتان برايد وحيتان الساي وحيتان أومورا أمر صعب جدًّا. ومن المعروف أن الأدبيات العلمية السابقة وسجلات صيد الحيتان تحتوي على عدد من التعريفات الخاطئة. ومع أن رأس حوت برايد مسطح إلى حدٍّ ما، فإن فك حوت الساي أو منقاره مائل قليلًا إلى الأسفل.

يتميز حوت برايد بأنه من أنواع الحيتان متوسطة الحجم، وجسمه طويل انسيابي، ولونه رمادي مائل إلى الأزرق. وتوجد ثلاثة نتوءات أو تلال متوازية ممتدة من فتحة النفخ إلى طرف المنقار بشكل بارز على قمة الرأس تُميّزه عن غيره من الحيتان. وهي ميزة لا توجد لدى حوت الساي والحيتان الأخرى التي تتميز بحافة مركزية واحدة. كما يتميز بزعنفة ظهرية منحنية على شكل أشبه بالمنجل، وذيل عريض يشكّل جزءًا كبيرًا من جسم الحوت.

ويُعرف حوت برايد بسلوكه الخفي وحركته السريعة، وغالبًا ما يُشاهد منفردًا أو في مجموعات صغيرة. ويُعدُّ وجوده مؤشرًا على صحة النظام البيئي الذي يعيش فيه.

طرق دراسة حيتان برايد

تُعدُّ حالات جنوح الحيتان في المياه قبالة شبه الجزيرة العربية، الطريقة الوحيدة للحصول على عينات هيكلية للحيتان الكبيرة، نظرًا لكونها من المناطق التي لا يُمارس فيها صيد الحيتان. ومع ذلك، لا تُجمع العينات دائمًا من جميع الحيتان العالقة، وذلك بسبب التكلفة العالية للتنظيف وإعداد وصيانة هذه العينات الهيكلية، فضلًا عن صعوبة تأمين مساحة التخزين. لذا، فإن عدد العينات الهيكلية ذات القيمة العلمية المتاحة للبحث الأكاديمي محدود جدًا.

ففي أوائل عام 2014، جنح حوت من نوع "بالين" في جزيرة فيلكا بالكويت، ودُفِن بعد أن فحصه علماء محليّون. وبعد

"في المياه قبالة شبه الجزيرة العربية توجد أربعة أنواع من حيتان البالين و18 نوعًا من الحيتان المسنّنة.

حوالي تسعة أشهر، وبناءً على طلب من معهد علمي كويتي، تمَّ استخراج جثة الحوت مؤقتًا للتحقق من حالتها وإجراء بحث أولي حول قياسات الهيكل العظمي وصنع عينة هيكلية من قِبل باحثين يابانيين. وتُعدُّ البيانات التي تمَّ الحصول عليها من الفحص الموجز قيّمة لفهم بيئة حوت برايد بشكل أعمق.

التوزيع

على الرغم من تفضيل حيتان برايد للمياه التي تزيد درجة حرارتها على 20 درجة مئوية، وتمركزها في خطوط العرض بين 40 درجة جنوبًا و40 درجة شمالًا، فقد وثّقت بعض التنقلات الموسمية بين المياه الدافئة والباردة لبعض الأنواع. وقد لُوحِظ وجود أنواع أخرى على مدار العام في المياه الساحلية الاستوائية أو شبه الاستوائية، حيث يمكن العثور عليها ومشاهدتها بالقرب من الشاطئ أو في عرض البحر؛ وذلك لكونها تميل إلى الارتباط بالمناطق ذات الإنتاجية العالية، مثل مناطق ارتفاع مستوى المياه.

تنتشر حيتان برايد في أقاليم وبلدان كثيرة، مثل: الأمريكيتين، وأوروبا، وإفريقيا، وأستراليا، وجزر البهاما، والمحيطين الهندي والهادئ، وبحر العرب، والبحر الأحمر، والخليج العربي، وبحر الصين، والبحر الأبيض المتوسط.

التغذية

تتغذَّى حيتان برايد بشكل رئيسي على أسماك السرب، مثل السردين والأنشوجة والماكريل والرنجة. كما تتغذَّى على القشريات، مثل: الكريل والسرطان. فوجود هذه الحيتان في المناطق الاستوائية أو شبه الاستوائية يوفر لها إنتاجية عالية من الغذاء، وبخاصة في مناطق ارتفاع المياه قبالة سواحل البرازيل، وجنوب إفريقيا، وبحر العرب. ففي بحر العرب تؤدي التقلبات الموسمية إلى رفع مستويات المغذيات إلى المياه الساحلية والبحرية، وهو ما يؤدي إلى وفرة الغذاء ويسمح للحيتان بالتغذية، خاصةً الحيتان الحدباء التي تُوجد على مدار العام في هذه المنطقة، بالإضافة إلى حوت برايد الذي يعدُّ من الحيتان المقيمة قبالة سواحل عُمان وبحر العرب. غير أن البيانات المتعلقة بهذا النوع وغيره من أنواع الحيتان البالينية في المنطقة محدود بشكل عام.

تتغذَّى هذه الحيتان عن طريق الاندفاع، ويمكن رؤيتها وهي تندفع عبر سرب كثيف من الأسماك بفم مفتوح وطيات حلق ممتدة. وغالبًا ما تشارك هذا الحوت في فعاليات التغذية أنواع أخرى من الكائنات، مثل طيور الأطيش والدلافين والفقمات وأسماك القرش.

سلوك التكاثر

عادةً ما تُرى حيتان برايد بمفردها أو في مجموعات لا تزيد على ثلاثة. ومع ذلك، يمكن ملاحظة تجمعات أكبر تصل إلى عشرين في مناطق التغذية الرئيسية. وتُظهر بيانات صيد الحيتان أن الحمل والولادة في بعض تجمعات حيتان برايد البحرية يحدثان في أشهر الشتاء. غير أن أي قيود موسمية على تزاوجها وولادتها لم تُلاحَظ في التجمعات الساحلية لحيتان برايد في جنوب إفريقيا .

يستمر الحمل نحو 11 شهرًا، ويُعتقد أن العجول تبقى مع أمهاتها حتى تُفطم عندما تبلغ من العمر 6 - 7 أشهر. والأنثى قادرة على إنجاب عجل واحد كل عامين.

التهديدات

منذ توقُّف صيد الحيتان التجاري، لا تتوافر معلومات كافية عن التهديدات الحالية لحيتان برايد. ومن المرجح أن حوادث اصطدام هذه الحيتان بالسفن ووقوعها في شباك الصيد تُمثّل أحد الأخطار التي تهدد حياتها. فقد سُجّلت حالات اصطدام في بحر العرب وفي جنوب إفريقيا، وكذلك وُثّق وقوع هذه الحيتان في شباك الصيد الكيسية المخصصة لصيد أسماك التونة؛ وذلك لكون هذه الحيتان تتغذّى على نفس الأسماك الصغيرة التي تتغذّى عليها أسماك التونة، ولا يُعرف ما إذا كان هذا الارتباط يؤدي إلى معدلات نفوق عالية أم لا.

وفيما يتعلق بالمفترسات لا توجد معلومات موثوقة عن الحيوانات المفترسة الطبيعية لحيتان برايد. لكن يُعتقد أن الحيتان القاتلة هي الوحيدة القادرة على افتراس هذه الحيتان وصغارها، نظرًا لضخامتها وقوتها.

أمَّا فيما يخص التهديدات الوبائية المتعلقة بالأمراض والإصابات الطفيلية المهددة لحياة هذه الحيتان، فلا يوجد أي معلومات يمكن الاعتماد عليها.

حالة الحفظ

يُعتقد أن معظم أعداد حيتان برايد سليمة نسبيًا. وعلى الرغم من أن الخلط القديم بين الأنواع قد يعني أن بعض الصيد المُسجَّل على أنه حيتان ساي ربَّما كان في الواقع حيتان برايد، إلا أن حيتان برايد لم تكن مستهدفة بشكل كبير للصيد التجاري. ويعود ذلك جزئيًا إلى انتشارها الاستوائي خارج مناطق صيد الحيتان الأكثر شيوعًا في خطوط العرض العليا، ومن جهة أخرى، لكونها أصغر حجمًا وأقل شهية أو ربحًا من الأنواع الأكبر حجمًا التي تنتج المزيد من الزيت واللحوم.

لكن لا يزال عدد محدود من حيتان برايد يُصطاد في شمال غرب المحيط الهادئ سنويًا إلى جانب أنواع أخرى من الحيتان، بموجب برنامج بحوث تشرف عليه اليابان.

إن الخلط التاريخي بين حيتان برايد وحيتان الساي، إضافة إلى استمرار عدم الوضوح بشأن الوضع التصنيفي لتجمعات حيتان برايد حول العالم، جعل من الصعب تقدير أعداد هذا النوع من الحيتان. ومع ذلك، منذ عام 2018، يُعدُّ حوت برايد أقل أنواع الحيتان المهددة بالانقراض في القائمة الحمراء للاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة. ولهذا، فهو مُدرج في الملحق الثاني لاتفاقية الأنواع المهاجرة (CMS)، والملحق الأول لاتفاقية التجارة الدولية في الأنواع المهددة بالانقراض (CITES).

مشاهدة الحيتان

لا تُعدُّ حيتان برايد غالبًا الهدف الرئيسي لجولات مشاهدة الحيتان نظرًا لطبيعتها المراوغة. ومع ذلك، فهي توجد على مدار العام في العديد من المناطق الرئيسية لمشاهدة الحيتان، مثل: نيوزيلندا، وخليج تايلاند، والبرازيل، وقبالة سواحل جنوب إفريقيا؛ إذ تُصادف هذه الحيتان بانتظام، وتُصوَّر فوق وتحت الماء خلال "رحلة السردين" السنوية التي تجذب آلاف السياح للغوص لمشاهدة تجمعات الحيوانات البحرية المفترسة التي تتغذّى عليها.

صائد الذباب الفردوسي الإفريقي..
هندسة الذيل التي تطارد الفرائس جوًا

سعد العريج

- يتغذّى على الحشرات ويفترس في الهواء أثناء الطيران
- يوجد بين الأشجار الكثيفة في الوديان وأعالي الجبال وبالقرب من المياه الجارية
- يتغير لونه بحسب العمر ويتغير طول ذنبه بحسب الجنس

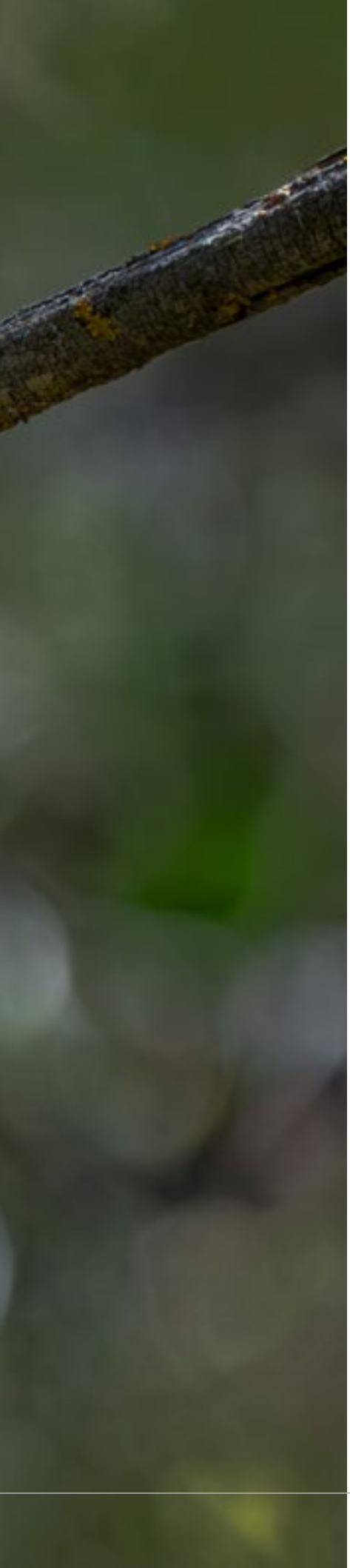

يُعد طائر "صائد الذباب الفردوسي الإفريقي" من الطيور الفريدة التي تجسد ثراء الحياة الفطرية، حيث يتميز بخصائص جمالية وسلوكية لافتة تجعل منه ركيزة هامة في الدراسات العلمية المتعلقة بالتنوع الأحيائي والتوازن البيئي.

الوصف والمظهر

طائر متوسط الحجم من فصيلة الجواثم، ويُقارب حجمه حجم البلبل الشائع؛ إذ يبلغ طول جسمه حوالي 18 سم. غير أن الذكور في موسم التكاثر يمتد ريش ذيلها الأوسط ليصبح أطول بكثير، وهو ما يضاعف طول جسم الطائر. وتتميز أفراد هذا النوع بألوان متعددة ومختلفة بين طائر وآخر.

غالبًا ما يكون ظهر هذا الطائر وأجنحته بلون واحد. أمَّا الرأس والصدر، فيكونان بلون آخر. كما أن لون هذا الطائر يتغير بحسب العمر والجنس، وغالبًا ما يكون رأس الذكر الناضج داكنًا ولامعًا، مع تطابق لون المنقار والمناطق العارية الأخرى، بما في ذلك الحلقة حول العين، مع لون الريش المحيط.

وقد تكون هناك صبغة بيضاء في بعض الطيور، كأن يكون جزء من الجناح أبيض، وتكون الريشة الوسطى في الذنب بيضاء كذلك.

الموطن

ينتشر الطائر في معظم أنحاء إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وبعض السلالات يمتد انتشارها إلى المناطق الجنوبية في شبه الجزيرة العربية. وتعدُّ الغابات، والسافانا، والأراضي العشبية المفتوحة ذات الأشجار المنعزلة، والمزارع، والأراضي الشجرية من المواطن النموذجية لهذا الطائر الجميل.

سلوك التغذية

ينشط هذا الطائر في النهار ويعتمد في غذائه بشكل أساسي على الحشرات، حيث تضم قائمة غذائه الذباب، والفراشات، والعناكب، ويلتقط اليرقات والتوت في بعض الأحيان.

يصطاد الطائر فرائسه في الهواء أثناء الطيران عبر مطاردة ومناورة جوية صغيرة يقوم بها، أو يلتقط غذاءه بين فروع وأوراق الأشجار، أو أثناء التنقل بين الأغصان. وغالبًا ما يستخدم ريش الذيل في عملية الصيد، أو في استثارة انتباه الفريسة.

سلوك التكاثر

ما إن تتساقط الأمطار حتى يبدأ موسم تكاثر هذا الطائر الجميل، حيث ينشط التزاوج في هذا الموسم. وغالبًا ما يكون التزاوج أحاديًا، وقد تكون الأعشاش متقاربة إذا كانت عدة أزواج تستوطن منطقة واحدة. يشترك الزوجان في بناء العش واحتضان البيض ورعاية الفراخ، فالأنثى تضع بين 2 – 3 بيضات يتناوب الزوجان على احتضانها.

تبني هذه الطيور أعشاشها على شكل وعاء على أفرع الأشجار، وذلك على ارتفاعات بعيدة عن الأرض. تستخدم في بنائها مواد خشنة وناعمة، مثل: الأعشاب، ولحاء الأشجار، والأغصان الصغيرة. كما يقوم هذا الطائر بتغطية عشه بالطحالب في بعض الأحيان، وكذلك بشبكة العنكبوت لإسناد البناء.

الصوت والتواصل

يُصدر الطائر صوتًا مميزًا يشبه صوت البلابل المألوفة. ورغم ذلك، فهو يصدر أيضًا صوتًا حادًا وخشنًا في حالة الخطر أو للتحذير. كما تستخدم ذكور هذا الطائر ريش الذيل الطويل في عروض التزاوج لجذب الإناث.

التوزيع في شبه الجزيرة العربية

يوجد هذا الطائر كمقيم محلي في بعض المناطق الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية، ولا سيَّما في سفوح جبال تهامة، التي تعدُّ من البيئات المفضّلة لهذا الطائر في السعودية كونها مناطق ذات الغطاء نباتي كثيف وأشجارها متناثرة في المرتفعات الجبلية، وتحديدًا في جبال تهامة والسروات.

كما ينتشر هذا الطائر في المناطق المرتفعة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية في اليمن وسلطنة عمان، لتفضيله الأماكن الشجرية الكثيفة في الوديان وسفوح الجبال وبالقرب من المياه الجارية، التي تعد الموائل الطبيعية لهذا الطائر، حيث يحصل على غذائه بسهولة في مثل هذه الأماكن.

هجرة الطائر

على الرغم من أنه مقيم في تهامة ومناطق عسير، فإن أعداد هذا الطائر تزداد وتصبح أكثر وضوحًا أثناء هجرتها من إفريقيا في فصل الصيف. وقد لوحظ مغادرة الطائر لبعض المناطق المرتفعة بعد انتهاء موسم الرطوبة المرتبطة بالمطر، ثم يعود مع بداية موسم الأمطار أو الرطوبة الصيفية العالية.

الاسم العلمي:	طائر الذباب الفردوسي الإفريقي *(Terpsiphone viridis)*
النشاط:	نهاري
الحالة:	غير مهدد
الطول:	18 سم
سلوك التزاوج:	أحادي التزاوج
حالة التكاثر:	يضع بين 2 - 3 بيضات

أروغ من ثعلب..

كيف شكّلت الحيلة والدهاء سلوكيات البقاء؟

بالتأمل لموروثنا الثقافي، نجد أن بعض الأمثال لا تتوقف عند حدود التعبير اللغوي، بل تتجاوز ذلك لتكون بمنزلة خلاصة واعية لتجربة طويلة من الملاحظة. فالمثل الشعبي الذي يقول: "أروغ من ثعالة" أو "أروغ من ثعلب" يسرد لنا ظاهرة تستحق الوقوف والتأمل، ليس بوصفه حكمة متوارثة، بل لكونه دليلًا على وعي مبكر لدى الأجداد بسلوكيات عالم الحيوان.

فكلمة "روغ" بما تحمله من دلالات لم تُطلق على الثعلب مجازًا. وهذا يضعنا أمام سؤال منهجي: هل ما تواتر على الألسنة مجرد حكاية من الماضي، أم أنه يمثل استقراءً لحقيقة بيولوجية راسخة؟

المكر في التراث

احتل الثعلب مكانة فريدة في الأدب العربي، ليس بوصفه حيوانًا مفترسًا، بل كرمز للدهاء والحيلة. فالمثل "أروغ من ثعالة" ليس مجرد صفة عابرة، بل هو شهادة على الملاحظة الدقيقة لسلوك هذا الحيوان. وكلمة "روغ" في اللغة العربية تعني الخفة في الحركة والانتقال من مكان لآخر بسرعة وخداع، ولقد وجد الأجداد في الثعلب نموذجًا حيًا للمراوغة، فهو يختبئ بمهارة، ويتحرك في المسارات المعقدة، ليتمكن من الإفلات من الصيادين والحيوانات المفترسة بذكاء مدهش.

ولم تقتصر صورة الثعلب في التراث على الذكاء فقط، بل تضمنت جوانب أخرى تعكس تعقيد هذه النظرة. ففي بعض الأمثال، كان الثعلب رمزًا للذلة والهوان، كما في المثل الشهير: "أذل من بالت عليه الثعالب"، الذي يروي قصة صنم كان يعبده قوم، فلما بال عليه ثعلب، أدرك القوم أنه لا يستحق العبادة، فتركوه.

هذه الازدواجية في النظرة، بين الحيلة والذلة، تؤكد أن العرب القدماء لم يكونوا ينظرون إلى الحيوانات بسطحية، بل كانوا يربطون صفاتها الظاهرية بأحوال البشر ومصائرهم.

يروغ: من المثل إلى العلم

إن ما عدّه العرب "روغًا" ومكرًا، يسميه علماء الأحياء اليوم "القدرة على التكيف" و"الذكاء المعرفي". فالثعلب ليس مجرد حيوان مفترس، بل هو ناجٍ بعلمه. فالثعلب الأحمر على سبيل المثال *(Vulpes vulpes)* هو واحد من أكثر أنواع الثعالب انتشارًا، ونجاحه ليس وليد الصدفة، فهو حيوان شديد المرونة، قادر على العيش في الصحاري القاحلة، والغابات الكثيفة، وحتى في قلب المدن المزدحمة.

القدرة على التكيف مع البيئات المتغيرة هي دليل قوي على الذكاء والحنكة الشديدة، ذلك أن الثعلب قادر على تغيير نظامه الغذائي بسهولة، فيأكل القوارض والأرانب، ويتجه إلى الفواكه أو بقايا طعام البشر في المدن. وهذا في الحقيقة قدرة فائقة على الاستفادة من تنوع مصادر الغذاء، ومظهر من مظاهر الذكاء في البقاء على قيد الحياة.

صائد الحواس

عندما يتعلق الأمر بالصيد، تبرز مهارة الثعلب بوضوح، فهو لا يعتمد على القوة، بل على الحيلة والدقة. إحدى أشهر حيله هي "القنص المفاجئ"، فعندما يكتشف فريسة صغيرة، مثل فأر أو طائر، مختبئة تحت الثلج أو بين الأعشاب الكثيفة، يتجمد في مكانه، ويركز حواسه بدقة، ثم يقفز فجأة في الهواء ويرتطم برأسه في الأرض ليكشف عن الفريسة. هذه الحركة ليست عشوائية، فالدراسات

الثعلب الجبلي

العلمية أثبتت أن الثعلب يستخدم الحقل المغناطيسي للكرة الأرضية لتحديد موقع فريسته بدقة، وهو ما يجعله صيادًا لا مثيل له.

أمّا حاسة السمع لديه، فهي معجزة بحد ذاتها؛ فأذناه الكبيرتان والمتحركتان تعملان كأطباق استقبال، قادرة على التقاط أدق الأصوات تحت الأرض أو تحت طبقات الثلج. بذلك يتمكن من سماع حركة الفئران وهي تحفر أنفاقها. لذا، يستخدم هذه الإمكانات لتحديد مكان القفزة بدقة مذهلة. وهذا السلوك هو التجسيد الحي لمعنى "الروغان"، فهو لا يهاجم بتهور، بل يخطط لكل حركة بدقة ودهاء.

ما وراء العزلة

من الاعتقادات الشائعة أن الثعلب حيوان انفرادي، لكنه على العكس من ذلك، يتمتع بحياة اجتماعية معقدة. فالثعالب تعيش في مجموعات عائلية صغيرة، وتتكون من ذكر بالغ، وأنثى بالغة، وصغارها. وهي تتواصل مع بعضها البعض عبر مجموعة متنوعة من الأصوات، من النباح الحاد إلى الصراخ، ولكل صوت معنى خاص. هذه الشبكة الاجتماعية تساعد الثعلب على تربية صغاره وحماية مناطقه، وتكشف أن الثعلب ليس مجرد رمز للمكر، بل هو كائن اجتماعي يعيش حياة منظمة، رغم كل مظاهر الحذر والوحدة التي يظهرها.

دلالات الأمثال الشعبية

يبرز المثل العربي القديم "أروغ من ثعالة" أنه لم يكن مجرد قول مجازي، بل كان شهادة صادقة على سلوك حيوان حقيقي. فالحكمة التي توصل إليها الأجداد بالملاحظة الدقيقة، يؤكدها اليوم العلماء بالأبحاث والدراسات العلمية العميقة. وهو خير مثال على أن التراث الإنساني والطبيعة مترابطان.

ولعل ما يجعل هذا المثل راهنًا اليوم، هو أن الدرس الذي يقدمه الثعلب لم يعد مجرد حكاية من الماضي. ففي عالم تتسارع فيه وتيرة التغيير، تصبح قدرة الثعلب على تغيير نظامه الغذائي أكثر من مجرد سلوك بيولوجي - إنها استراتيجية للبقاء. والإنسان المعاصر، في مواجهة تحولات مهنية وتقنية متلاحقة، مطالب بالقدرة نفسها على إعادة التفكير في موارده المتاحة. الذكاء الحقيقي ليس في التمسك بطريقة واحدة، بل في إيجاد مسارات بديلة حين يُسد الطريق.

المثل "أروغ من ثعالة" لم يفقد معناه بمرور الزمن، بل اكتسب أبعادًا جديدة. إنه يذكرنا بأن العالم من حولنا مليء بالحكمة التي لم نكتشفها بعد، وأن كل حيوان يحمل في سلوكه قصة تستحق أن تُروى. والثعلب بذكائه وحيلته يظل بطلًا لهذه القصة، رابطًا بين الماضي العتيق، والحاضر الذي يسوده العلم التجريبي، والمستقبل الذي يتطلب منا جميعًا أن نكون أكثر مرونة ويقظة.

الثعلب في حيوان الجاحظ

لم يكن الجاحظ في كتابه الموسوعي "الحيوان" مجرد ناقل للمعرفة، بل كان باحثًا دقيقًا يجمع بين الملاحظة العلمية والنظرة الفلسفية لسلوك الحيوانات. وقد أولى الثعلب اهتمامًا خاصًا، ليس لضخامة جسمه أو قوته، بل لما فيه من ذكاء وحيلة تستحق التأمل.

خبث الثعلب ودهاؤه

روى الجاحظ عن أحد أصحاب القنص قوله: "ما أعجب أمر الثعلب! يفصل بين الكلب والكلاب، فيحتال للكلاب بما يعلم أنه يجوز عليها، ولا يحتال مثل تلك الحيلة للكلب؛ لأن الكلب لا يخفى عليه الميت من المغشي عليه".

فالثعلب يستخدم حيلة التماوت مع مجموعة الكلاب، لكنه يدرك أن هذه الخدعة لن تنطلي على الكلب الواحد الذي يمتلك حاسة أقوى للتمييز. هذه الملاحظة تكشف عن ذكاء تكيفي نادر، فالثعلب لا يكتفي بحيلة واحدة، بل يقرأ الموقف ويعدل أسلوبه وفقًا لخصمه.

القدرة على التكيف مع البيئات المتغيرة دليل قوي على الذكاء والحنكة الشديدة لدى هذا الحيوان.

الأخلاق الكريمة والهداية الغريبة

وفي موضع آخر، صنف الجاحظ الحيوانات إلى فئتين: حيوانات العجب فيها في صورتها وتركيبها مثل الطاووس والزرافة، وحيوانات العجب فيها في أخلاقها وذكائها. وهنا وضع الثعلب ضمن الفئة الثانية، مؤكدًا أن ما يميزه ليس شكله، بل "ما أُعطي من الأخلاق الكريمة، وصنعة الكف اللطيفة، والهداية الغريبة". فالثعلب عند الجاحظ ليس مجرد حيوان ماكر، بل هو كائن يمتلك قدرة فطرية على الاهتداء والتدبير، ومهارة في التخطيط تدعو إلى التأمل.

الثعلب في سلسلة الاحتيال

وفي سياق حديثه عن السلسلة الغذائية، رسم الجاحظ صورة دقيقة للعلاقات المعقدة بين المفترس والفريسة: "الجرذ يحتال لطعمه، والحية تحتال للجرذ، والورل يحتال للحية، والثعلب يحتال لما دونه". فالثعلب ليس مجرد صياد، بل هو حلقة في سلسلة طويلة من الذكاء والمكر، حيث البقاء ليس للأقوى، بل للأذكى والأكثر قدرة على التكيف.

الثعلب في شعر أحمد شوقي

لم تتوقف صورة الثعلب عند حدود التراث القديم، بل امتدت لتصل إلى العصر الحديث على يد أمير الشعراء أحمد شوقي (1868-1932م)، الذي خصص في ديوانه "منتخبات من شعر شوقي في الحيوان" قصائد عن الثعلب وذكر منها قصيدتين طريفتين في سفينة نوح، تكشفان عن استمرار النظرة التراثية للثعلب، مع إضافة أبعاد أخلاقية جديدة.

الثعلب الغادر: نقض العهد

في القصيدة الأولى، يصور شوقي الثعلب وهو يتجول في السفينة بين الحيوانات، فيقسم للديوك بأنه قد تغير، وأن زمن الافتراس قد ولى، ويعدهم بالأمان التام بعد النزول من السفينة. لكن ما إن تطأ أقدامهم الأرض، حتى يمشي معهم متظاهرًا بالصداقة، فإذا ابتعدوا عن الجماعة انقض عليهم وافترسهم. وعندما يُتهم بالغدر ونقض اليمين، يجيب بسخرية لاذعة:

فإنما نحن بنو الدهـــــــاء
نعمل في الشدة للرخـــــاء
ومَن تخـــاف أن يبيـــع دينَـــه
تكفيـــك منه صُحْبة السفينة

فالثعلب هنا لا ينكر طبيعته، بل يعترف بها دون خجل، ويحذر من يعرفه من الوثوق به!

الثعلب المنافق: ادعاء الزهد

أما في القصيدة الثانية، فيرتقي شوقي بالمكر إلى مستوى النفاق الديني. يأتي الثعلب إلى نبي الله نوح في السفينة متظاهرًا بالتوبة والندم، ويروي "حسنة" زعم أنه فعلها: أنه رأى أرنبًا يلعب تحت منزله فلم يفترسه، لأنه رأى في ذلك "دناءة"! لكن الأرنب نفسه كان حاضرًا في المجلس، فكشف الكذبة وقال:

قد كان ذاك الزهد يا خبيـــث
وأنت بين الموت والحيـــــاة
من تخمة ألقتك في الفـــلاة

فالثعلب لم يترك الأرنب زهدًا أو ورعًا، بل لأنه كان مريضًا من التخمة - أي الشبع الزائد - فلم يقدر على الأكل!

في هاتين القصيدتين، يؤكد شوقي أن صورة الثعلب لم تتغير عبر القرون، بل ظلت حية في الوجدان العربي. لكنه أضاف إليها بعدًا أخلاقيًا واجتماعيًا: فالثعلب عنده لا يمثل المكر فقط، بل يجسد من يبيع دينه بدنياه، ومن يتظاهر بالتقوى وهو أبعد الناس عنها.

قصة المثل

"أروغ من ثعالة" هو من الأمثال العربية القديمة، ويُضرب لمن يُعرف بالمراوغة والمكر، ويصعب الإمساك به أو الوثوق فيه. "ثعالة" هي تصغير أو تحبيب لكلمة "ثعلب"، الحيوان المعروف بدهائه ومراوغته، وقد ورد المثل بصيغ مختلفة مثل "أروغ من ثعلب". ويُقال هذا المثل للشخص الذي لا يثبت على حال، كثير التقلب والمراوغة في كلامه وأفعاله، ويستخدم لوصف من يتملص من المسؤولية ويتهرب من المواجهة بذكاء ومكر. وقد جاء في شعر طرفة بن العبد، عندما كان يشكو قومه الذين تخلوا عنه ويصفهم بالمكر والخداع، فقال:

كلهـــم أروغُ مـــن ثعلبٍ
ما أشبه الليلَـة بالبارحـة

ورد ذكر الثعلب في الأدب العربي القديم، وتحديدًا في العصر الجاهلي، وكانت له دلالات رمزية متعددة تعكس صفاته وسلوكه في البيئة الصحراوية.

رمز للمكر والخداع: استخدم الشعراء الثعلب رمزًا للدهاء والخيانة، نظرًا لسلوكه المتحايل في الصيد والتخفي.

صورة للهوان والذل: غالبًا ما صُوّر الثعلب في موقف ضعف أو خوف، خاصة عندما يطارده العقاب أو الصيادون، وهو ما جعله رمزًا للجبن والروغان.

يقول الهذلي:

كأنه إلى الفخاخ يسعـــــــى
الثعلبُ المذعورُ وقد نُصـــــبُ

ويقول صالح عبدالقدوس:

يُعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغُ منك كما يروغ الثعلـــب

وهذا البيت يُعد من أشهر بيوت الشعر انتشارًا، وقد وردت فيه مراوغة الثعلب صراحة.

ويقول أحمد شوقي:

مخطـــئٌ من ظـــن يومًـــــا
أن للثعلـــــــب دينـــــا

ولقد أصبح هذا البيت عبارة دارجة بين الناس، تُستخدم للتحذير من المنافقين والمتلونين.

في القصة

يُعد كتاب "كليلة ودمنة" الذي ترجمه عبدالله بن المقفع من الفارسية إلى العربية، من أشهر الأعمال الأدبية التي تصور الثعلب، ذلك أن شخصية "دمنة" (هي من فصيلة الثعالب) وترمز إلى المكر والخبث والقدرة على قلب الحقائق وتحريك الفتن باللسان.

تدور حكايات الكتاب حول حوار بين الثعلب "دمنة" وبين أخيه "كليلة"، حيث يستخدم دمنة ذكاءه وحيلته لإيقاع الشر والوقيعة بين الحيوانات، مما يجعله تجسيدًا أدبيًا للمثل "أروغ من ثعالة".

الثعالب تعيش في مجموعات عائلية صغيرة وتتواصل مع بعضها عبر مجموعة متنوعة من الأصوات ولكل صوت معنى خاص.

البطاقة العلمية

- الاسم والتصنيف

الاسم العربي: الثعلب، وللذكر: ثعلب، وللأنثى: ثعلبة، وللجرو: تتفل.

الاسم العلمي: *Vulpes* (الجنس)، وأشهر الأنواع الثعلب الأحمر *Vulpes vulpes*.

- التوزيع والانتشار

الثعلب الأحمر *(Vulpes vulpes)* هو أكثر أنواع الثعالب انتشارًا في العالم، ويعد من أنجح الثدييات البرية في التكيف مع البيئات المختلفة. يتواجد في:

1. أوروبا وآسيا من بريطانيا إلى اليابان.

2. أفريقيا شمال القارة والصحراء الكبرى.

3. أمريكا الشمالية وأُدخل إلى أستراليا في القرن التاسع عشر.

الجزيرة العربية يستوطن معظم المناطق حتى في الصحاري شديدة الحرارة والجفاف.

يعيش الثعلب في بيئات متنوعة: الغابات الكثيفة، الصحاري، الجبال، المناطق الزراعية، وحتى أطراف المدن الكبرى. هذا الانتشار الواسع يعكس قدرة استثنائية على التكيف.

- حالة الحفظ

التصنيف: غير مهدد (Least Concern) وفقًا للاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة (IUCN) والأعداد مستقرة عمومًا، مع تزايد في بعض المناطق الحضرية.

جمعية حماية الطيور..
ريادة مجتمعية تحلّق لحماية الأجنحة الطائرة

- ترصد الأنواع وتسعى لبيئة مثالية للطيور
- وضعت معايير قياسية لحماية الموائل الطبيعية
- تعمل على توعية المجتمع ومتخذي القرار بأهمية حماية الطيور وموائلها الطبيعية

وروار أوروبي *Merops apiaster*

اختلفت نظرة البشر للطيور، وقد سادت نظرة من التشاؤم والسلبية على بعضها، ونظرة إيجابية على بعضها الآخر. كما ارتبط بعضها بالحظ السعيد، والبعض الآخر بالحكمة، فيما ارتبط بعضها بالعدوانية، وآخر بالمودة، وثالث صُنّف كطائر مهرج.

وكان الغراب المعلم الأول لبني البشر، والحمامة رمزًا للسلام مع غصن الزيتون. وقد أولت بعض الدول أهمية كبرى للطيور فجعلت من بعضها رمزًا وطنيًا كطائر الكيوي الذي يرمز إلى نيوزلندا، حتى إنه يشار إلى المواطن النيوزلندي باسم الكيوي. كما جعلت الولايات المتحدة الأمريكية من النسر الأمريكي رمزًا وطنيًا أيضًا.

ولطالما اختلفت علاقة الإنسان بالطائر، فكان الغذاء حينًا، وصيادًا حينًا آخر. ومنذ فجر التاريخ كانت هذه العلاقة الوطيدة مع الطائر، كعلاقة الجندي بالقائد، يطلقه ليصطاد به بني جنسه، أو يصطاد به حيوانات أخرى.

اليوم، نحن أمام علاقة من نوع آخر بين بني البشر وبين الطيور تتمثّل في حماية البشر لهذه المخلوقات الوادعة من الأخطار المختلفة المحدقة.

التأسيس

كان الثامن عشر من شهر ذي الحجة لعام 1444هـ، يومًا مشهودًا للمهتمين بحماية الطيور في المملكة العربية السعودية، فقد باركت وزارة البيئة والمياه والزراعة والمركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية ميلاد "جمعية حماية الطيور" التي أُنتخب أعضاء مجلس إدارتها وصدرت الموافقة على اللائحة الأساسية لها، وعُيّن عبدالله السحيباني، أحد أشهر المهتمين بالطيور منذ عشرات السنين، رئيسًا لها.

أعدت الجمعية خططها التشغيلية والتنفيذية، على أن يتم اقتصار عضويتها على المهتمين فعليًا بحماية الطيور ورصدها وإنمائها، وتقديم الخدمات الملموسة للحفاظ عليها.

وللجمعية الوليدة رؤية واضحة تتمثّل في مجموعة من الأنشطة والبرامج المستدامة، إضافةً إلى ريادتها المجتمعية ورسالتها الراسخة في حماية الطيور والحفاظ على موائلها الطبيعية، وتطوير البرامج التوعوية، وتدريب ومشاركة المجتمع ثقافة حماية الطيور وموائلها، وتوثيق الأعمال التطوعية والعلمية، لمساندة جهود حماية الطيور في المملكة العربية السعودية.

المبادرات الأساسية

لقد حددت "جمعية حماية الطيور السعودية" سبع مبادرات تعمل على تنفيذها، وهي:

الأولى: إعداد وتنفيذ البرامج التوعوية المتعلقة بأهمية حماية الطيور وموائلها الطبيعية.

الثانية: مشاركة الدراسات والأبحاث والمعلومات الخاصة بالطيور.

الثالثة: توثيق ورصد مشاهدات الطيور في المملكة،

وتطوير خطط السياحة المستدامة المتعلقة بمراقبة الطيور ومتابعتها.

الرابعة: إعداد وتنفيذ برامج تدريبية لأعضاء الجمعية والمختصين في دراسة وإنقاذ وحماية الطيور وموائلها في المملكة.

الخامسة: عقد الندوات والمعارض وورش العمل الخاصة بحماية الطيور وموائلها في المملكة.

السادسة: حصر ودراسة الموائل والمناطق المهمة للطيور في المملكة وإعادة تأهيل المتضرر منها.

السابعة: العمل على تنفيذ برامج تحجيل الطيور في المملكة.

التعريف بالطيور وأهميتها

تولّى القائمون على الجمعية، منذ انطلاقتها، مسؤولية التعريف الشامل بالطيور وأهمية وجودها، وكذلك التعريف بموائلها وأهمية الحفاظ عليها، كأحد أهم أهداف وأولويات الجمعية، ذلك أن هناك أكثر من 10 آلاف نوع من الطيور حول العالم، وتختلف هذه الأنواع باختلاف بيئاتها وتنوعها من طائر الطّنان الصغير حتى طائر النعام الضخم، ومن الطيور المفترسة إلى الطيور الوديعة، ومن الطيور المهرجة إلى الطيور الشرسة، ومن الطيور الضعيفة إلى الطيور القوية، ومن الطيور الليلية إلى الطيور النهارية. وهناك قائمة طويلة بالطيور، حيث يعاني 10% منها حول العالم من تهديدات الانقراض، و70% منها تموت صغارها مبكرًا.

وتقدم الطيور حلولًا عملية لبعض المشكلات البيئية، مثل: مكافحة القوارض، والتخلّص من الحيوانات النافقة في أطراف المدن والقرى، ونقل البذور واللقاح من مكان لآخر، والتخلص من بلايين الأطنان من الحشرات والآفات الزراعية، وهي بذلك تغني عن استخدام المبيدات الكيميائية، فضلًا عن أدوارها في التوازن البيئي برًا وبحرًا.

الاهتمام

مراقبة الطيور إحدى الهوايات المحببة لكثير من الناس في جميع أنحاء العالم، ولقد أصبحت هذه الهواية مصدر دخل كبير في العديد من دول العالم، وقدّرت الإحصائيات وجود حوالي 200 مليون مراقب طيور حول العالم، منهم نحو 100 مليون مراقب نشط يقوم بالترحال حول العالم بهدف مشاهدة الطيور في مناطقها الطبيعية.

وتعقد "جمعية حماية الطيور" الآمال في أن تسهم جهودها وأنشطتها وبرامجها في توعية المجتمع ومتخذي القرار، بالأهمية الحيوية للطيور في التوازن البيئي، والحفاظ على صحة الأنظمة البيئية، ذلك أن أي تغيّر في أعداد الطيور يشير إلى تغيرات بيئية ومناخية، ويشير أيضًا إلى وجود تلوث أو مشكلة بيئية معينة.

وللطيور حضور لافت، وجمال أخّاذ، وروعة وإلهام، يبعث على دراستها، والاعتزاز بوجودها، ويدفع بحمايتها وحماية موائلها من المشكلات والأخطار، وبالأخص التي تهدد حياة الطيور وتعرضهم للخطر.

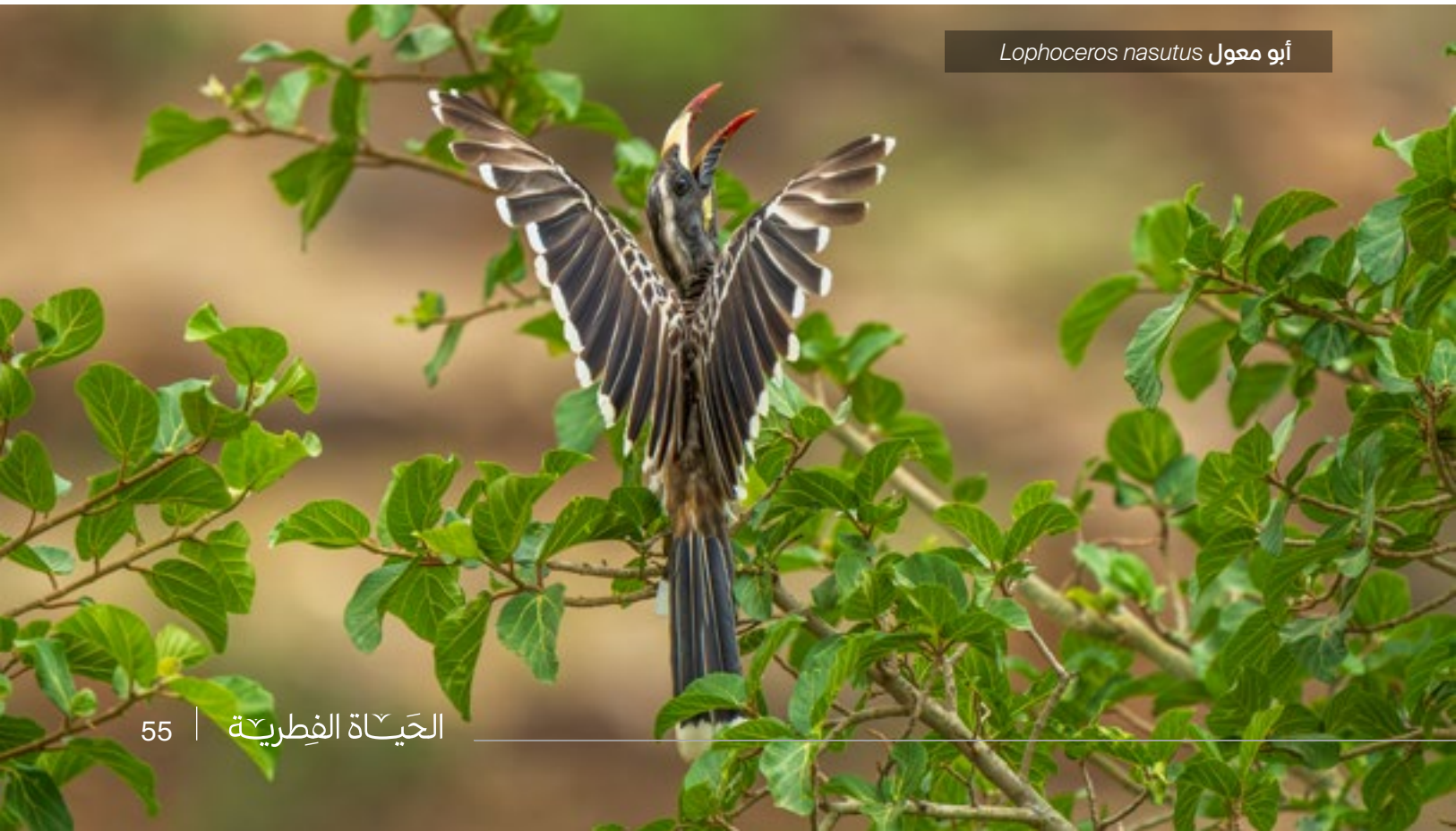

أبو معول *Lophoceros nasutus*

التنوع

نظرًا لما تتمتع به المملكة العربية السعودية من موقع جغرافي هام ومميز، يتوسط ثلاث قارات (إفريقيا، وأوروبا، وآسيا)، فضلًا عمَّا تملكه المملكة من تنوع جيولوجي كبير وبيئات طبيعية متعددة، فقد أهّلها كل ذلك لأن تحظى بتفرد خاص كمنطقة عبور لأنواع مختلفة من الطيور حول العالم، مهاجرة من آسيا وأوروبا إلى إفريقيا، حيث تعبر أراضي المملكة ملايين من الطيور. ويأتي تأسيس هذه الجمعية، لتحقيق مستهدفات الحماية والاستدامة، والمحافظة على الطيور وموائلها الطبيعية، فهي تشاركنا العيش على هذه الأرض المباركة، وعلى هذا الكوكب، وتسهم بدور كبير في الحفاظ على التوازن البيئي، ولا سيَّما إذا علمنا أن تعداد أنواع الطيور المسجلة رسميًا في المملكة يبلغ حوالي 551 نوعًا، تضم بعضًا من أجمل الطيور، وأكثرها سحرًا وغرابة وهجرة وندرة وضآلة وضخامة وسرعة.

ومن بين تلك الأنواع حوالي 280 نوعًا متكاثرًا عابرًا لأراضي المملكة، وحوالي 220 نوعًا متكاثرًا معششًا ومتوطنًا في المملكة. وبينها ما هو نادر، حيث إن 14 نوعًا متوطنًا في شبه الجزيرة العربية، نوع وحيد متوطن في المملكة وهو العقعق العسيري *(Pica asirensis)*. ومن بين هذه الأنواع حوالي 28 نوعًا مصنفة ضمن القائمة الحمراء للاتحاد الدولي لصون الطبيعة (IUCN) كأنواع مهددة بالانقراض عالميًا.

وفي ظل الظروف البيئية والمناخية المتطرفة التي تمر بها بعض أراضي المملكة خلال فصلي الشتاء والصيف، فإن نحو 27 مليون زوج من الطيور تتكاثر سنويًا في المملكة، إمَّا لقضاء فصل الشتاء، أو لعبور أراضيها في رحلات طويلة، وهو ما يمثّل تجسيدًا مثاليًا لمفهوم المثابرة والإصرار.

ومن ضمن الطيور النادرة طائر "العقعق العسيري"، الذي يُعدُّ من أندر الطيور في العالم، فلا يوجد منه حاليًا سوى 100 زوج تقريبًا (200 فردًا بالغًا)، جميعها متوطن في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية.

التهديدات

تعد المناطق الصحراوية في شبه الجزيرة العربية واحدة من النُّظم البيئية المعقّدة، وهي حساسة بشكل كبير للتغيرات البيئية والمناخية التي قد تطرأ عليها. ومن تلك التغيرات ما هو طبيعي مثل الأعاصير والفيضانات والجفاف وغيرها من العوامل الطبيعية، وهناك ما هو غير طبيعي يحدثه الإنسان. وأي تأثير على أحد مكونات النُظم البيئية، يؤثر في النُظم البيئية كلها. فغياب الغطاء النباتي من جراء الرعي الجائر و الاحتطاب يمكن أن يؤدي إلى نقص الحشرات، الذي يسبب بدوره نقصًا في أعداد الطيور والتنوع الأحيائي بشكل عام، فضلًا عن تأثير ذلك على الإنسان.

ومن أهم المشكلات التي تواجه الطيور في المملكة والعالم تدمير مناطق تكاثرها وتغذيتها، إلى جانب الصيد الجائر، والتلوث البري والبحري. وتعدُّ نفايات البلاستك من أكثر الأخطار التي تواجه الطيور البرية والبحرية على حدٍّ سواء، فهذه المواد تدخل ضمن المواد التي يتناولها الطائر اعتقادًا منه بأنها حبوب أو بيض أو أسماك.

ومن هنا، يأتي دور "جمعية حماية الطيور السعودية" في تنمية الوعي البيئي المجتمعي لحماية الطيور وموائلها الطبيعية في البيئة المحلية بمختلف تنوعها الأحيائي.

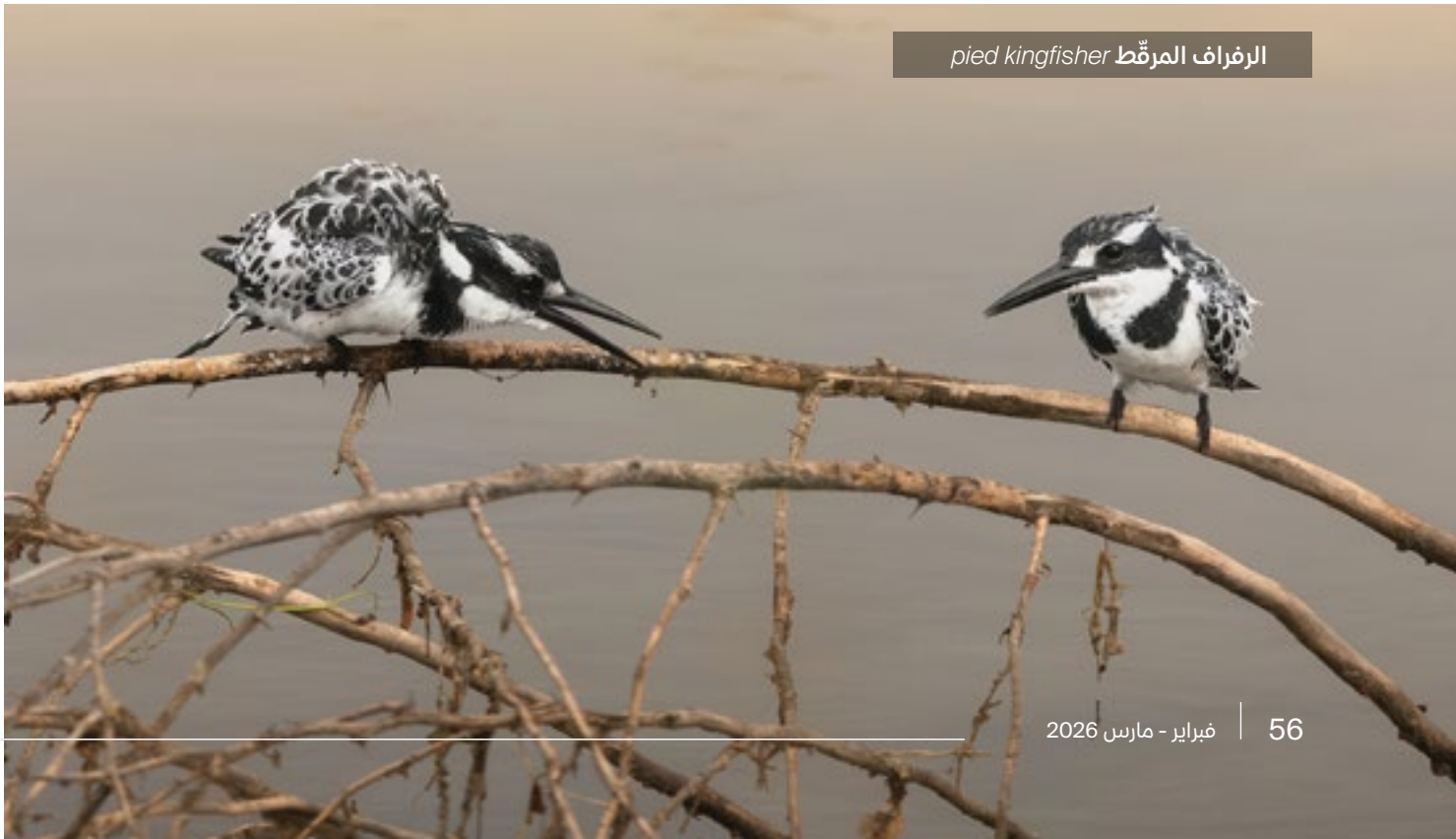

الرفراف المرقّط *pied kingfisher*

شمعي المنقار العربي *Estrilda rufibarba*

الأخطار

توضح "جمعية حماية الطيور السعودية" أن الأخطار التي تواجه الطيور في المملكة العربية السعودية سببها الإنسان، سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر، مثل: الإزعاج البشري للطيور في مناطق التعشيش، والصيد الجائر، وجمع البيض، وتدهور مناطق التكاثر ومناطق التغذية، من جراء التوسع العمراني والزراعي، إضافةً إلى التلوث والصيد الجائر للأسماك، والرعي الجائر، والاصطدام بالخطوط والأسلاك الكهربائية والتكهرب، فضلًا عن وجود أنواع دخيلة تسهم في الإضرار بالأنواع المتوطنة.

الموائل

لا تقتصر موائل الطيور على اليابسة فحسب، بل تمتد موائلها في الأنهار والبحار والمحيطات، وتُراوح مساحتها من قطعة صغيرة من الأراضي اليابسة أو الرطبة إلى مناطق شاسعة، وغالبًا لا تتمتع المناطق الهامة للطيور والتنوع الأحيائي بوضع قانوني، حيث تكون خارج المناطق المحمية أو المتنزهات الوطنية.

وتهدف "جمعية حماية الطيور السعودية" إلى تسليط الضوء على المناطق التي تشكل أهمية للطيور، وتشجيع جهود الحفاظ عليها، حيث يتم تحديد تلك المناطق باستخدام معايير قياسية، مثل حالة الأنواع وأعدادها ووضعها، سواء كانت مقيمة أو مهاجرة أو نادرة أو مهدد بالانقراض. فإذا تم - على سبيل المثال - تسجيل نوع من الطيور مهدد بالانقراض بانتظام في مجموعات كبيرة داخل منطقة التكاثر أو الهجرة، فقد تكون المنطقة مؤهلة لتُصبح من الموائل المهمة للطيور.

وغالبًا ما يتم تصنيف المناطق المهمة للطيور بناءً على حجم تلك المنطقة وأهميتها، فبعضها مهم على المستوى الوطني؛ لأنه يدعم الأنواع المحلية المعرضة للخطر. في حين تحظى بعض المناطق بأهمية قصوى على المستوى القاري والعالمي؛ لأنها تدعم عددًا كبيرًا من الأنواع المختلفة في العالم. ومن خلال حماية الموائل التي تستخدمها الطيور للراحة أو التكاثر، تساعد إجراءات الحماية لهذه المناطق في الحفاظ على أعداد الطيور والأنواع المهددة بالانقراض.

الحدأة سوداء الجناح *Elanus caeruleus*

برنامج رصد وتوثيق تسجيل الطيور بالمملكة

برنامج رصد وتوثيق تسجيل الطيور في المملكة العربية السعودية يُعدُّ من المبادرات المهمة في مجال الحفاظ على البيئة وحماية التنوع الأحيائي. يهدف هذا البرنامج إلى جمع البيانات حول أنواع الطيور الموجودة في المملكة، وتوثيق حضورها وتوزيعها، ومراقبة صحتها وبيئاتها الطبيعية.

مشروع دراسة تغيرات الطيور في المحميات الطبيعية في منطقة الأحساء

يهدف إلى دراسة التغيرات التي تطرأ على أعداد وأنواع الطيور داخل المحميات الطبيعية، مع رصد العوامل البيئية التي تؤثر في سلوك الطيور وتوزيعها. يمثّل هذا المشروع تعاونًا بين جامعة الملك فيصل وجمعية حماية الطيور، ويعدُّ خطوة أساسية لتعزيز حماية التنوع الأحيائي ودعم استدامة الأنظمة البيئية في المنطقة.

مشروع تحجيل الطيور

وهو مبادرة تعاونية بين المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية وجمعية حماية الطيور، ويهدف إلى حماية ورصد الطيور في المملكة العربية السعودية عبر وضع حلقات تعريفية (أو تحجيل) على الطيور البرية.

د. عبدالله القويز.. من الدبلوماسية إلى دروب الطبيعة

دعوة للتأمل في جمال المحميات وتنوُّعها البيئي

لقاء: عصام الحاج

ضيفنا الدكتور عبدالله القويز يمشي بخطى ثابتة وروح متقدة. رجلٌ تجاوز الثمانين، لكنه لا يزال يقطع يوميًا كيلومترات من التأمل، كأن الأرض تمده بالحكمة مع كل خطوة. وفي عالمٍ يزدحم بالضجيج، اختار المشي ليكون طقسه اليومي، ووسيلته للصفاء الذهني والاتزان الجسدي.

بالنسبة إليه، وهو السفير السابق والمفكر الاقتصادي، المشي ليس مجرد رياضة، بل طقسٌ يومي يعيد فيه ترتيب أفكاره، ويغسل فيه ذهنه من شوائب الحياة. يرى في كل خطوة فرصة للتفكر واستكشاف جمال المملكة الأخاذ، وفي كل منظر دعوة للحفاظ على الطبيعة المتنوعة. يشجع الآخرين، خاصة كبار السن، على تبني هذه العادة، مؤمنًا بأنها مفتاح الصحة الجسدية والنفسية.

في هذا اللقاء، نرافقه في دروبه المعتادة، لنكتشف كيف تحولت خطواته إلى فلسفة حياة، وكيف يمكن للمشي أن يكون أكثر من مجرد حركة.

بداية، نسأله عن سبب ممارسته المشي لمسافات طويلة، وما هي أبرز الفوائد التي يجنيها منه؟

يرد علينا بسؤال: ولماذا لا أمشي؟ ويوضح: الدافع الأساسي هو توفر الصحة الجيدة (والحمد لله) والوقت. ويعدُّ المشي هو الحياة، وهو أكثر متعة من أشياء كثيرة. المشي لمسافات طويلة يساعد على التفكُّر في خلق الله، والمعالم، والتاريخ، والأشياء غير العادية. وهو يجمع بين الصحة الجسدية والصحة النفسية. يختلف المشي بالصحاري، الذي قد يكون مملًا أحيانًا لتشابه المنظر، عن المشي في الجبال الذي يكون مليئًا بالتحدي والمفاجآت وغيرها.

ويضيف: المشي يمنحك معلومات جديدة أكثر مما تجده في الكتب. فهو يسمح بالتعرف على التاريخ بشكل أعمق. على سبيل المثال، عند المشي في درب زبيدة (الذي يمتد 1400 كيلومتر من بغداد إلى مكة)، يرى المرء المعالم الأثرية وكيف تعاملت المدن مع نقص المياه وعالجته هندسيًا. المشي يساعدك على التعرف على بلدك وإحياء ذكريات الماضي. وقد أدَّت مناطق مثل الأحساء ونجد أدوارًا تاريخية عديدة، كونها المنفذ الرئيسي على العالم. وقد شهدت جهودًا لإحياء طرق تاريخية، مثل مسار الملك عبدالعزيز لفتح الرياض وطريق الإمام تركي الذي سلكه للوصول إلى الدرعية. المشي يسمح لك باكتشاف أشياء تتعلمها وتعرفها برجليك، ولا تعرفها إذا مررت بالسيارة.

في الطريق للوصول لقمة جبل أحد في المدينة المنورة

وردًا على سؤال كيف يسهم المشي في فهم التنوُّع البيئي في المحميات وحماية الطبيعة؟ يقول:

يساعد المشي على تقدير الجهود المبذولة في المحميات. ويتيح رؤية التنوُّع الأحيائي والغطاء النباتي، والجهود المبذولة لإعادة توطين الأشجار المهددة. إن المشي داخل المحميات يساعد الإنسان على احترام الطبيعة، وأن يكون لديه دافع للحفاظ عليها أكثر من أي نشاط آخر. ويتم ذلك عند رؤية الخضرة والتنوُّع النباتي والتمتع برائحة الأرض.

ونسأله: ألا تؤثر أنشطة المشي على الكائنات الفطرية في المحميات؟ فيجيب بالنفي ويقول: المشي بذاته لا يؤثر سلبًا إذا التزم الناس بالمسارات. لكن المشكلة الكبرى تكمن في السيارات، فهي تقتل النباتات، وتدمر دروبها، وتسبب الغبار الذي يذهب بعناية البذر والتنبيت، وتقتل الكائنات الدقيقة.

ويمكن تحويل المشي لتجربة متكاملة عبر إقامة فعاليات تشمل المشاركة في غرس الأشجار، أو دراسة أنواع النباتات. كما يتم وضع مسارات مرتبطة بالتراث، مثل: مسار جبل مخروق الواقع في محمية الوعول قرب الرياض، ومسار غار قيس وليلى في جبل التوباد الواقع في منطقة الأفلاج، حيث يربطون المسار بالغار والمكان الذي كانوا يلتقون فيه.

وردًا على سؤال عن التحديات التي تواجه البيئة واطلع عليها من خلال مشاويره الكثيرة، يقول: عانت بعض المناطق، مثل الدوادمي (مدينة ضيفنا)، من الرعي والاحتطاب الجائرين وقلة سقوط الأمطار، وهو ما أدى إلى اندثار الأشجار وتحولها إلى قاع صفصف. ولذلك تعدُّ إعادة الكائنات الحية إلى مواطنها الأصلية أمرًا مهمًا، لكنه متعب ومكلف وصعب. وتبذل المحميات الملكية جهودًا كبيرة في هذا الصدد، وكذلك جهود المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية تحظى بالتقدير، حيث يسعى إلى

أخلاقيات المشي

- المشي وممارسة الرياضة عمومًا تُعدُّ من العوامل الأساسية للحفاظ على صحة الجسم، وتزداد أهميتها لدى كبار السن؛ إذ تمنحهم القدرة على الاعتماد على أنفسهم في تلبية احتياجاتهم اليومية دون الحاجة إلى مساعدة أفراد الأسرة أو العمالة المنزلية. كما تسهم هذه الأنشطة بشكل فعّال في تعزيز الصحة العامة، خاصة في ظل انتشار العادات الغذائية غير الصحية التي تؤدي إلى أمراض مزمنة مثل ارتفاع الكوليسترول والسكري.

- المشي يعلم الأخلاقيات البيئية. يجب على ممارس رياضة المشي أن يحرص على عدم أذية النباتات أو الحيوانات أو الزواحف، وعدم كسر الأشجار الصغيرة. وأهم قاعدة هي عدم ترك أثر. فتوسيخ المكان أو حرقه، أو قطع الأشجار، هو سلوك سلبي جدًا وغير أخلاقي ومسيء للبيئة ولسمعة البلد.

استراحة قبل مواصلة الصعود لقمة (بان روج) في جبال الألب

العلا

جمعية درب

جمعية درب هي جمعية غير ربحية تهدف إلى تعزيز ثقافة المشي في المملكة العربية السعودية من خلال إنشاء مسارات آمنة وسهلة الوصول في مختلف المناطق. تسعى الجمعية إلى تحسين جودة الحياة عبر دعم الروابط الاجتماعية والتفاعل المجتمعي، إضافةً إلى إثراء تجربة السياحة الداخلية.

وتتمثّل رسالتها في توفير بيئة داعمة للمشي من خلال التعاون مع الجهات الحكومية والخاصة، وتطوير وسائل تقنية تساعد المهتمين في التعرف على المسارات المتاحة وخدماتها، والمساهمة في الحفاظ على البيئة الطبيعية والتراثية. ومن أهداف الجمعية أيضًا توفير المعلومات الفنية للجهات والأفراد المهتمين، وضمان سلامة المستخدمين والمتطوعين في المسارات، مما يعزز الاستدامة ويخدم المجتمعات المحلية.

ترسيخ مفهوم الاستدامة من خلال حماية الحياة الفطرية والتنوُّع الأحيائي والنظم البيئية، والعمل على تنميتها بما يحقق التوازن بين الإنسان والطبيعة عبر برامج شاملة وفعالة، تركز على تعزيز المشاركة المجتمعية، باعتبارها حجر الأساس في إنجاح المبادرات البيئية.

وقال الدكتور القويز: "تتكامل الجهود الوطنية في حماية الحياة الفطرية بمشاركة العديد من الجهات المعنية؛ إذ يتولى المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية حماية الأنواع المهددة وإعادة توطينها في بيئاتها الطبيعية، بينما يضمن المركز الوطني لتنمية الغطاء النباتي ومكافحة التصحر استدامة هذه الموائل عبر مكافحة التصحر وتأهيل الروضات والمحميات، لخلق بيئة حيوية متوازنة".

وتنتشر مجموعات المشي والهايكنج (المسير الجبلي) في معظم مدن المملكة العربية السعودية؛ إذ تضم مدينة الرياض وحدها ما يزيد على ثلاثين مجموعة تطوعية ومنظمة.

وشدّد ضيفنا على أن إشراك الأفراد والمؤسسات في هذه البرامج يسهم في تعظيم الفوائد الاجتماعية والاقتصادية، ويعزّز من وعي المجتمع بأهمية المحافظة على الموارد الطبيعية. وبناء علاقة مستدامة بين المواطن وبيئته، تضمن للأجيال القادمة إرثًا طبيعيًا غنيًا ومتنوعًا.

ويفضل ضيفنا المشي منفردًا، ويوضح: المشي وحدَك يمنحك فرصة للتفكير دون انقطاع، ويسمح لك بتصوير الأشياء ودراسة المكان ودراسة المخططات بروية، ولكنه ينطوي على بعض المخاطر. ولذلك، نصيحته هي أن يتم المشي ضمن مجموعات، وخاصة في المناطق الجبلية وغير المأهولة.

ويقول: كان الخطر الأبرز في الماضي هو الذئب (الذيب)، وقد شاهدته وسمعت صوته عدة مرات. إذا كان الذئب جائعًا، فإنه قد يُهاجم الشخص. كما أن الضياع في الصحراء والتعرض للظمأ والجوع يمكن أن يحول التجربة إلى مغامرة خطرة.

ونسأل ضيفنا عن رحلاته والمناطق التي زارها، فيقول:

تنقلت بين القمم والوديان، عابرًا حدود الجغرافيا والثقافات. من قلب المملكة العربية السعودية، حيث صعدت أعلى قممها واستكشفت تضاريسها المتنوعة، إلى الولايات المتحدة، حيث مارست الهايكينغ في أجزاء كثيرة منها، وصعدت أعلى جبل في إنجلترا. وفي لبنان، تنقلت بين جباله كمن يقرأ فصولًا من كتاب الطبيعة. أما في اليونان، فقد صعدت إلى جبل أوليمبوس، وتايغتوس الذي يروي حكايات التاريخ. وفي تنزانيا، وصلت إلى قمة كلمنجارو، رابع أعلى قمة في العالم. بينما في المغرب، اعتليت تُوبقال، أعلى قمة عربية. وفي مصر، وقفت على سانت كاترين، شامخة في سيناء. لم تتوقف الرحلة هناك، بل امتدت إلى عمان، وفرنسا، وسيرلانكا، والسودان، وموريتانيا، حيث تركت آثار خطواتي على دروبٍ لا تُنسى.

ومشيت في مناطق مختلفة حول العالم، منها جنوب شرق آسيا (مثل بروناي)، حيث يكون المشي داخل الغابة ويتطلب حذرًا كبيرًا. كما شملت الرحلات عددًا كبيرًا من الدول الأوروبية (سويسرا، وإيطاليا، والبوسنة والهرسك، وفرنسا، وبريطانيا) وأمريكا اللاتينية (البيرو، في منطقة قريبة من قمم الجبال العالية). وفي إفريقيا، استمتعت برحلاتي في إثيوبيا. وقد تباين الطقس في هذه المناطق بين الحار والرطب جدًا، والبارد جدًا. وصعدت أيضًا إلى ايفريست بيس كامب الذي يبلغ ارتفاعه 5345 متر فوق سطح البحر

يرى الدكتور القويز أن الإقبال المحلي على المشي كبير جدًا. هناك الآن حوالي 30 جمعية ومجموعة محلية للمشي في المملكة. ويكمن الدور الريادي لجمعية "درب" التي أسسها الضيف مع مجموعة من أصدقائه الذين يشاركونه نفس الهواية في رسم المسارات وتهيئتها ووضع العلامات عليها. وتقوم الجمعية بتنظيم فعالية "تدشين" للمسار، وخلال إحدى هذه الفعاليات (في قرية حصاة قحطان الصغيرة المعزولة) حضر ما بين 300 و400 شخص للمشي، معظمهم متطوعون جاؤوا من جميع أنحاء المملكة.

قصور آل أبو سراج، أبها

مسارات المشي

تُعدُّ مسارات المشي التي تحددها جمعية درب وترسمها وتهيئها وتنظفها وتصونها عنصرًا أساسيًا في تعزيز السياحة البيئية ونشر ثقافة النشاط البدني في المملكة. فهي تتيح للزوار فرصة استكشاف الطبيعة والتضاريس المحلية بطريقة آمنة ومنظمة. تعتمد الجمعية في اختيار المسارات على معايير دقيقة تشمل سهولة الوصول، وتنوع التضاريس، والسلامة، وجاذبية المناظر الطبيعية. كما تُراعى الجوانب البيئية لضمان الحفاظ على التنوُّع الحيوي وعدم الإضرار بالمواقع الطبيعية. هذه المسارات تُسهم في رفع جودة الحياة وتعزيز الوعي البيئي لدى المجتمع. ومن بين المسارات الكثيرة التي أنجزتها الجمعية، ويتجاوز عددها 30 مسارًا، نذكر:

مسار درب عجلان - مسار جبل الحضر - مسار جلاجل التاريخي - مسار ثهلان - مسار القويعية - مسار جبل ساق.

شايب وصل قمة كلمنجارو راجلًا وعاد سالمًا

أصدر ضيفنا كتابًا ممتعًا يوثق فيه رحلته الملهمة إلى قمة جبل كلمنجارو، أعلى قمة في قارة إفريقيا بارتفاع يبلغ نحو 5,895 مترًا فوق سطح البحر. يروي الكتاب تفاصيل التجربة منذ لحظة التخطيط حتى الوصول إلى القمة، برفقة مجموعة من المغامرين الذين شاركوه التحديات والصعوبات على امتداد الطريق.

جبل كلمنجارو يقع في شمال شرق تنزانيا، ويُعدُّ من أشهر المعالم الطبيعية في القارة، ليس فقط لعلوّه الشاهق، بل لأنه أيضًا أعلى جبل قائم بذاته في العالم؛ إذ يرتفع بشكل مهيب فوق السهول المحيطة به. يتكون الجبل من ثلاثة مخاريط بركانية: كيبو (وهي القمة الأعلى)، وماوينسي، وشيرا، ويُعدُّ بركانًا طبقيًا خامدًا.

وخلال الرحلة، يمر المتسلقون عبر بيئات متنوعة تبدأ بالغابات المطيرة وتنتهي بالثلوج الدائمة التي تغطي القمة، وهو ما يجعل التسلق تجربة فريدة تجمع بين الجمال الطبيعي والتحدي البدني والذهني. وقد نجح ضيفنا في نقل هذه التجربة بأسلوب سردي جذاب، يتيح للقارئ أن يعيش تفاصيل المغامرة وكأنه أحد أفراد الفريق، إلى جانب الصور الكثيرة المعبرة.

إرثنا الطبيعي.. أدوار تكاملية ومسؤولية مشتركة

كنانة دحلان

الحياة الفطرية ليست عنصرًا معزولًا عن حياتنا اليومية، بل جزء أساسي من استقرار البيئات الطبيعية التي نعتمد عليها. فوجودها المتوازن ينعكس مباشرة على استدامة الموارد، واستقرار السلاسل الغذائية، وجودة الحياة بشكل عام.

ومع تسارع الأنشطة البشرية، تتعرض الحياة الفطرية لضغوط متزايدة، أبرزها فقدان الموائل الطبيعية، والتلوث، والممارسات غير المنظمة. هذه التحديات لا تؤثر في الأنواع وحدها، بل تمتد آثارها إلى النظم الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية على حدٍّ سواء.

ومواجهة هذه التحديات تتطلب تعاونًا حقيقيًا يتجاوز الأدوار التقليدية. فحماية الحياة الفطرية لا يمكن أن تكون مسؤولية جهة واحدة، بل هي جهد مشترك تتكامل فيه أدوار الجهات الحكومية، والقطاع الخاص، والمجتمع، كلٌّ ضمن نطاق مسؤوليته.

وفي هذا الإطار، يعمل المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية ضمن منظومة وطنية متكاملة تهدف إلى حماية التنوع الأحيائي، وإدارة المناطق المحمية، وتنفيذ برامج الإكثار وإعادة التوطين. كما يسعى لتعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على الحياة الفطرية بوصفها موردًا وطنيًا يجب صونه، بما يحقق رؤيته الريادية في الوصول إلى "حياة فطرية وتنوع أحيائي ونظم بيئية مزدهرة ومستدامة"، وبما يتواكب مع مبادرة السعودية الخضراء المنبثقة من "رؤية المملكة 2030".

إن الشراكات الفاعلة، وتوحيد الجهود وتكاملها، وتبادل الخبرات والمعارف، وفق أفضل التجارب والممارسات، تمثّل الأساس لأي عمل مستدام في هذا المجال. فحماية الحياة الفطرية والحفاظ على إرثنا الطبيعي ليسا خيارًا ثانويًا، بل ضرورة لضمان مستقبل متوازن تحافظ فيه الطبيعة على قدرتها على العطاء، وتستمر فيه الحياة بجميع أشكالها.

متطلبات إصدار شهادة ملكية الكائنات الفطرية

شهادة صحية للكائن من منشأة بيطرية معتمدة توضح:

1. الاسم العلمـــــي
2. الجنـــــــس
3. العمـــــــر
4. الحالة الصحيـــة
5. الوسيلة التعريفية

توفير الظروف الملائمة لرعاية وتغذية الكائن

تعبئة معلومات الكائن

موقع إيواء الكائن

صور ومواصفات مكان الإيواء (القفص/ المسبح)

يتم إصدار شهادة الملكية
من خلال منصة "فطري"

عدسة

العنكبوت الذئبي

الصورة تُبرز عيون العنكبوت الذئبي الثمانية والشعر الكثيف على الرأس والفكوك. هذا المفترس الليلي يصطاد فرائسه بالمطاردة النشطة بدلًا من نصب الشباك.

عدسة: مفيد أبو شلوة
باحث علمي ومصور ماكرو متخصص في توثيق الكائنات الصغيرة